روايات
ALHAN

ألحان

سمكة فوق الشجرة

١٣٨

www.7akaidyna.com

مرمورية

ثمن النسخة							
لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	CanadA	5$
سوريا	٧٥ ل	الإمارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	U.K	1.5
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	France	15F.F
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د	Greece	1200Drs.
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	CYPRUS	1.5 P.

سأل "كلارك" "جايل" في دهشة :

- ما الذي قالته؟

- لا شيء مهم.. من النادر أن يفهمها أحد ولكنَّ أحدا لم يسألها قط عما تعنيه . عادة ما يسمعها ويتظاهر بالتفكير ويهز رأسه ببساطة وهكذا يمر الأمر بسلام .

بعد فترة رفعت "جايل" رأسها إليه فابتسم :

- أعتقد أنه من الأفضل ألا أدخل حتى ولو لنتناول قدح قهوة بسيطا؟

إنه يتحرق شوقا ألا تدعه يرحل ولكن كيف؟

همست أخيرا:

- نعم .. من الأفضل .. من الأفضل جدا أن تفعل !

الغلاف الأمامي

تعيش "جايل" في بلدة صغيرة في الغرب الأمريكي حيث تعمل مدرسة وتعول ابنا وابنة بعد وفاة زوجها وتحظى بحب وإعجاب اهل القرية الذين يتصفون بحب الإشاعات . وباعتبارها ارملة شابة وجميلة فهي مادة خصبة لإشاعاتهم ورغبتهم في حمايتها. يفد على البلدة لاعب كرة مشهور سابق ليعمل على رفع مستوى فريق المدرسة إلى مرتبة البطولة وتربطه علاقة صداقة منذ الطفولة بمدير المدرسة. يتعرف لاعب الكرة على "جايل" بحكم عملهما وتربط الإشاعات بينهما باعتباره المرشح الصالح للزواج بالأرملة الحسناء . ولكن هناك اختلاف شديد يجعل من المستحيل أن يتحقق حلم اهل البلدة خاصة وجود الطفلين. وسط هذا الجو الغريب والذي لا يتيح لهما الخصوصية المطلوبة لإنشاء علاقة صحيحة تنتهي بالزواج.

تنشأ علاقة حب شديدة وعارمة بينهما وتتكاتف الظروف مرة لزيادة قوتها ومرة تجعل من المستحيل استمرارها .

هذا الصراع الغريب في طبيعته إلى اين ينتهي؟

شخصيات الرواية

"جايل فيشر" : مدرسة ارملة تعول اثنين من الأبناء وشخصية محبوبة من جميع أفراد البلدة.

"كلارك جيلبرايت": لاعب كرة مشهور سابق ويعمل مدربا لفريق كرة القدم المحلي .

"هاريسون دودال": مدير المدرسة وصديق "كلارك".

"جودي دورال": زوجة "هاريسون" وصديقة "جايل".

"جيفري"(جيف) و"بريني: ابن وابنة "جايل".

"إب واتسون": قاض عجوز متقاعد جار "جايل".

www.zahrawyia.com

الفصل الأول

أعلنت مصادر رسمية أن الرجال لم يكونوا مسلحين ولكن السلطات توصي مع ذلك بالحذر.

إن هروب السجناء الذي حدث أمس أثار مناقشات حول جدوى وفاعلية إقامة المنشآت العقابية وسط الحكومة الإقليمية وأعلن رئيس اللجنة السيد "هندرسون" نصيحته بقوة...

- أعتقد أنني حذرتك يا "جيفري فيشر" ومع ذلك فإنني لا أريد هذا المذياع هنا.

التفتت "جايل" بعنف نحو ابنها البالغ من العمر عشر سنوات وحدجته بنظرة حانقة.

أغلق الصبي المذياع في الحال ثم ناول صديقه إياه بسرعة قائلا في احتجاج:

- إنه ليس ملكي . إنه ملك "تشاك" . ثم لا يجب عليك أن تشكو. فإنه

أمر طيب أن نكون على علم بهذه الحادثة . من يدري ربما كان هؤلاء السفاحون في هذه اللحظة بالذات مختبئين وراء الشجر ويراقبوننا.

غضبت "جايل" وهي تلقي نظرة سريعة حولها:

- إنهم ليسوا سفاحين وقد سمعت أنهم هاجموا بقالة.

- ربما قتلوا أشخاصا . ماذا تعرف عن ذلك؟

كان يتحدث في همس وعيناه مليئتان بالمكر:

- وهم أيضا في حالة يأس.. ومستعدون لكل شيء .

- يالخيالك الخصب! ولكن الأفضل أن تصمت. انظر لـ"هاريسون"! إن المسكين يموت خوفا.

التفت "جيف" نحو الصبي الأشقر السمين الواقف في منتصف الطريق. كان الصبي شاحبا ويضغط بكل قوة يده على فمه .. قال يغيظه:

- أنت لست خائفا يا "هاري" . أليس كذلك؟ على أية حال إذا ألقى هؤلاء المخلوقات أنفسهم علينا فسوف نعرف كيف ندافع عن أنفسنا.

قطع كلامه وهو يرى "هاريسون" يسارع نحو الأشجار:

- ولن نتردد .. إذن هكذا . الأمر! لدي إحساس أن "هاري" ليس بخير يا أمي.

- إنني أحاول ألا أخنقك يا "جيف"!

سارعت "جايل" وهي ثائرة نحو الصغير الذي اختبأ خلف شجرة . أخرجت منديل جيب ومسحت فمه . وسألته بصوت رقيق:

- هل أنت بخير يا "هاريسون"؟

همس الصبي وهو يتطلع إلى وجوه الصبية حوله :

- نعم يا سيدتي ولا توبخي "جيف" بسببي . إنه يغيظني دائما كما تعرفين وأنا لا أحقد عليه.

- كيف يمكنك أن تقول هذا؟ إنه يصيبك بالمرض بحماقاته وانت لا تحقد عليه؟!

رد الصبي في هدوء وكان شيئا لم يحدث:

- انا دائما: مريض . ثم إن "جيف" يناديني "هاري".

كان يتحدث بفخر عن الصبي الشيطان . لم تجب "جايل" كانت تتساءل دائما : هل سياتي يوم ستقدر فيه على فهم الأولاد؟! إنها لا تجد أي مشكلة من هذا النوع مع ابنتها ذات الثلاثة عشر ربيعا . إنها تعرف شطحات مزاجها ونزواتها ولم تكن تدهش لذلك لانها هي نفسها مرت بتلك المرحلة . وعلى العكس مع الصبية فإن الأمر يختلف تماماً . قالت في صوت منخفض : وياله من اختلاف!

نزعت حزمة من العشب بغضب والقت بها بعيدا. انضمت إلى بقية الأولاد وهي تصحب "هاريسون" ودت لو أن "دون" لا يزال على قيد الحياة .. ربما استطاع مساعدتها على معرفة اعمق بروح الرجال المعقدة .. من يدري ؟ لسوء الحظ لم يعد موجودا وهي تتساءل: هل يمكن أن يكون عونا في هذا المجال ؟ منذ وفاة زوجها من ثلاثة أعوام ربت طفليها بنفسها ومن الواضح أن الأمور على ما يرام فلماذا إذن تقلق ؟ إن "جيف" لايزال صغيرا ليفهم تلك الشكوك والهواجس التي تعانيها بل إنه لا يفكر في استغلال ضعفها لحسن الحظ.

كتمت زمجرتها امام فكرة معاودة السير وحملت حقيبة الظهر الخاصة بالرحلات واشارت للأولاد أن يتبعوها . إن الرحلة لم تنته بعد.

لحق بها "جيف" بعد عدة امتار . ورغم إحساسها بوجوده بجوارها فإنها لم تنظر له . قال رافعا عينيه نحوها:

- ماما!

قالت له وهي تحدجه بطرف عينيها:

- اصمت ! لا أريد أن أسمعك . حسنا لقد تراجعت عن فكرة أن أخنقك في أثناء نومك . ولكن لا تعتقد انك كسبت الجولة بل إنني أفكر جديا أن اتخلى عنك واضعك على درج دار الملجا وعلى صدرك رسالة.

رد عليها بنفاد صبر:

- اسمعي !

صاحت فيه بغضب وهي تهدده بفرع الشجرة:

- هذا يكفي يا "جيف"! إنني لن اتحدث معك مادمت لم تعتذر لـ"هاري" .. هل هذا مفهوم؟

وافقها بلهجة مغيظة:

- موافق .. اريد أن اقول لك ببساطة : إنك تمسكين في يدك نباتا ساما.

نظرت "جايل" إلى فرع الشجرة والقت به بقوة:

- ولكنني اعرف ذلك .. ولكني لست حساسة لهذا النوع من النبات . والآن خذ مكانك بسرعة في الصف.

تساءلت: لماذا تحدث هذه الأمور فقط لها؟ وهي التي لم تنضم إلى اية جمعية نسائية و لم تطالب قط بتحرير المراة .. ولكنه حظها.

هناك بعض الأعمال لا يقوم بها إلا الرجال مثل هذه مثلا وهي أن تصحب فرقة من الجنود والصغار ليعسكروا ولكن هذه ليست أسوأ ما في الأمر.

- يا سيدة "فيشر" لم أعد أستطيع التحمل اكثر من هذا .

وقبل أن يتلقى الرد من الشابة اندفع "تشاك" نحو الأشجار . صاحت وراءه قبل أن تلتفت للباقين:

- انتبه يا "تشاك" إلى المكان الذي تضع فيه قدمك . إن المكان يضج

www.alzahrawyat.com

بالنباتات السامة .. حسنا. جنود .. سنتوقف هنا بضع دقائق . واستفيدوا منها للراحة لأنه بعد ذلك لن تنالوا الراحة إلابعد وقت طويل.

تركت الشابة الأولاد يتصرفون بمفردهم وتخلصت من حمولتها الثقيلة وجلست عند جذع شجرة ضخمة ثم ألقت بنظرة فيما حولها وحكت ظهرها خفية في جذع الشجرة حتى تسترخي عضلاتها المشدودة فكرت في أن كل هؤلاء الصغار الذين يمثلون بهجة الحياة وسط الهواء الطلق يدينون بكل هذه السعادة دون شك إلى "هاريسون دورال" أخيها الأكبر وصديقها ورئيسها في العمل وقالت من بين أسنانها:

-"هاريسون دورال" إنك لن تفقد شيئا لو انتظرت .. فور عودتي للمنزل ساهتم بحالتك!

تساءلت: كيف وقعت في هذا الفخ؟

في الحقيقة كانت فكرة طيبة أن تصحب الأولاد ليعسكروا مرة أو مرتين في الشهر وسط الطبيعة ولكن لماذا هي ؟ ألا توجد مدرسات أخريات في المدينة ؟ ثم أين ذهب كل هؤلاء الرجال الشجعان ؟

وكأنها مصادفة أن جميعهم مشغولون في كل مرة يحتاجون إليهم . والأدهى من ذلك أن على "جايل" أن تتحمل ذلك وهي التي لا تعرف شيئا عن الطبيعة . رفعت شعرها للخلف حتى تتمتع بجمال النسيم وهو يمر على عنقها . ليس حقاً ما توقعته في الإجازة الصيفية مدة ثلاثة أشهر. في الحقيقة لم تكن قد خططت للإجازة ... ولكنها أقسمت أنها خلال كل هذه المدة ستتجنب أن توجه كلمة واحدة لأي شخص سنه أقل من ثلاثين سنة . حسنا يجب عليها أن تنفذ ذلك.

- أنت أيضا .. لقد فعلتها ! وقد رأيتك.

- هذا صحيح أنا كذلك رأيته.

أعادتها صيحات الأولاد إلى الواقع . لقد انتهت فترة الراحة والترفيه وقد حان الوقت لاستئناف المسير وهي تريد أن تتجنب تمردا عاما.

شرح "جيفري" عندما اقتربت من المجموعة.

- لقد قلت لك: إنه ليس أنا .. لقد سمعت فعلا شيئا ما .. ضجة غريبة تشبه التأوهات هناك في الأكمة وأراهن أنه واحد من تلك ... قاطعته "جايل" وهي تمسكه من ذراعه وتجره بعيدا عن الآخرين وفحت كالأفعى مهددة:

- لا أريد كلمة أخرى يا "جيف". هل تسمعني؟

- اسمعي ! إنني سمعت حقا..

- لا أريد أن أعرف شيئا وإذا ظللت تتحدث عن السجناء فساربطك في جذع شجرة واتركك هنا حتى عودتنا .. هل هذا مفهوم جيدا؟

تجهم وجه الصبي ومن الواضح أنه لا يعير تحذيرات أمه أي انتباه.

- حسنا .. أعدك بأن أفعل ولكني سأظل يقظا..

قاطعته أمه في غيظ.

-"جيف"!

ولكنه كان قد لحق بالآخرين . ألقت "جايل" نظرة نحو المجموعة واجتاحها شعور أنها غير كاملة وحتى تتأكد أحصت بسرعة الأولاد ولم تجد سوى أربعة بدلا من خمسة في بداية الرحلة . سألت وهي تحاول ألا تظهر قلقها:

- من ينقص؟

قال "تشاك":

- برايان".

زفرت وهي تتوقع الأسوأ:

- ولكن لماذا ؟ من أي ناحية ذهب ؟ هل رأيته؟

فجأة صاح الصبي.

- أنا هنا يا سيدة "فيشر".

اتجهت كل الرؤوس نحو المذنب . كان قد جمع أعشاباً مختلفة ونباتات متنوعة نزعها من جذورها قال شارحا :

- لقد أخبرتني أمي أنني لابد من الاستفادة من الرحلة في أن أتعلم أسماء مختلف النباتات .. هل يمكن مساعدتي ؟

- لو سمحت يا "برايان" سنهتم بذلك فيما بعد .

حاولت أن تتجنب نظرة ابنها الساخرة وأكملت:

- لقد تأخرنا وأفضل أن نصل إلى البحيرة قبل هبوط الليل. اسمعوني كلكم ! من الآن حاولوا الا تتفرقوا وارجو الا اضطر لتكرار ذلك.

اقترح "سكوت" وهو ولد طويل ونحيف :

- في المرة السابقة نظمنا أبي كل اثنين معا.

وافقته بابتسامة:

- هذه فكرة جيدة جدا . أنت يا "سكوت" ستظل مع "تشاك" و"برايان" مع "جيف" الذي سيشرح لك في الطريق كل ما تريد أن تعرفه عن النباتات و"هاري" سيسير بجواري والآن أسرعوا وإلا فقدنا طريقنا.

تقدمت المجموعة على رأسها "جايل" في خطوات سريعة ومنتظمة . ومع ذلك فإن الكيلو مترا الأخير بدا لانهاية له . ورغم كل مجهودات الشابة لم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير في المساجين الهاربين علاوة على أنه قد سادها شعور غريب بأن هناك من يتلصص عليهم . وماذا لو أنهم هناك مختبئون بين الأشجار؟

أخذ رجل ضخم ذو ملامح خشنة يراقب تقدمهم نحو البحيرة وعندما نظرت "جايل" ناحيته ثبت نفسه في الحال وراء شجرة وهو معجب بانعكاس أشعة الشمس على شعرها الطويل الأشقر . ماذا يفعل؟ ربما كان عليه أن يظهر مادامت المجموعة موجودة في الغابة . ثم راجع نفسه وهو يتخيل اضطراب الأولاد لا .. إنه سيتدخل فيما بعد . أضاءت ابتسامة عينيه السوداوين . إنه سينتظر هبوط الليل حتى ينام الأولاد وقت الهجوم . قال هامسا:

- هذه الليلة ستكون أفضل .. وسأنتظر .

***

أطلقت "جايل" زفرة ارتياح عندما وصلوا أخيرا إلى موقعهم المحدد . استقروا في منطقة مستوية بالقرب من البحيرة ليقضوا فيها الليلة . كانوا يتلهفون شوقا أن يتمددوا فوق العشب وأن يناموا ساعات وساعات ولكن الشمس ذات اللون الأحمر البرتقالي لازالت منخفضة في السماء وإذا أرادوا أن يجمعوا الخشب من أجل النار التي سيوقدونها في المعسكر يجب عليهم أن يفعلوا ذلك في الحال قبل أن يختفي الضوء كلية.

نادت الأولاد وطلبت منهم أن يجمعوا كمية كبيرة من الأغصان الجافة. وهي من ناحيتها تتولى مهمة البحث عن الأغصان الرقيقة الهشة التي تصلح لبدء إشعال النار . فجأة رأت "جيف" بجوارها وهو يناديها بصوت متوتر . سألته في غيظ :

- أحب أن أعرف لماذا سرنا ثلاثة كيلو مترات في حين أنه كان باستطاعتنا الوصول إلى البحيرة عن طريق الممر المختصر . وأرجوك أن تعطيني أسبابا مقبولة وإلا فلن أرد عليك.

كانت توبخه وقد استهلكت كل قوتها . رد عليها بهدوء:

www.zahrawyna.com

– ألم نخرج في رحلة جوالة ؟ إنها ليست نزهة خفيفة والآن كل شيء يعتمد على ما تعتبرينه رحلة.

صاحت:

– هل هذا كل ما وجدته لتجيب علي ؟ حسنا ! إن ساقي مغطاة بالخدوش وأوشكت أن أموت بالتسمم النباتي بسبب ذلك النبات اللعين وكل ذلك بسبب تعريفك لمعنى الرحلة .

رد عليها "جيف" بحزم:

– لم أطلب منك ارتداء "شورت".

بعد ذلك وضع حمله فوق كومة الخشب . إن السباب الذي زمجرت به أمه جعله يبتسم.

بعد ذلك أصبحت كومة الخشب عالية وجمعت الأولاد حولها . لم تعر نصائح كل ولد وسارعت بإشعال النار . لقد كانت الشمس قد اختفت تماما وساد الليل البهيم.

لم تحلم "جايل" إلا بشيء واحد . أن تجلس أمام دفء النيران والا تتحرك . ولكن نظرة واحدة كانت كافية لأن تفهم أن الأولاد لديهم شيء آخر في أذهانهم . أخرجت حلوى من حقيبتها ودستها في أفواههم. ربما لن يتجرءوا على شيء وأفواههم مليئة.

لا فائدة . عندما ابتلعوا الحلوى التفتوا جميعا نحوها بحثت "جايل" يائسة عن حل. هل يغنون أغنية جماعية حول النار؟ أم ينامون مبكرين؟

كلا وألف كلا! لقد قرر الشياطين الصغار أن يحكوا حكايات الأشباح ولن يتراجعوا عن ذلك. كان عليها أن تشك في ذلك وتخشاه .. إنها وسيلتهم المفضلة لقضاء الوقت وهذا المساء الجو رائع لممارسة هذه الهواية.

تتابعت الحكايات واحدة بعد الأخرى وكل منها أكثر رعبا من الأخرى

وتحول الأولاد إلى حياة متعطشة لامتصاص الدماء . كانوا يجدون لذة ماكرة في اللعب بالألفاظ وفي إدخال تفاصيل مرعبة هنا وهناك. نجحت الشابة في البداية في الاحتفاظ بهدوئها إلى حد ما ، ولكن عندما دخل ابنها في حكاية "المجنون ذي القبضة الفولانية" أحست بدمها يتجمد في عروقها وكزت على أسنانها حتى لا ترتجف أمام هبوب الريح وسط الأغصان.

استانف "جيف" حكايته بابتسامة شيطانية:

– وفي ليلة مثل هذه الليلة ظهر المجنون لآخر مرة . كان الأطفال قد خرجوا في رحلة جوالة وتوغلوا في الغابة ولم يعثر عليهم بعد ذلك قط لقد ذابوا وسط الغابة، وفي صباح اليوم التالي خرج رجال الشرطة بحثا عنهم ولكنهم لم يجدوا لهم اثرا فقد اختفوا . كان رجال الشرطة على وشك التخلي عن عملية البحث عندما رفع أحدهم رأسه وشاهد القبضة الفولانية ملوثة بالدماء.. إذن ..

توقف "جيف" قليلا حتى يسترد أنفاسه ثم فجأة أطلق صرخة وهو يرى "هاري" يلقي بنفسه على شجرة.

ظلت "جايل" بجوار الولد الصغير طوال فترة شعوره بالمرض والخوف وعندما تمالك نفسه أخيراً وضعته فوق جذع شجرة مقطوع وجلست بجواره وهي تختلس النظر لوجهه المقطب . سألته برقة:

– خبرني يا "هاري": لماذا أنت متمسك بهذه الرحلات؟

– أنا أحب المعسكرات .. ثم كما تعلمين فإن أبي عندما واتته فكرة هذا النادي فإن ذلك كان من أجلي وكان يأمل أن أصبح أشد وأقوى عودا.

– فهمت .. ولكن ما رأي أمك ؟ لابد أنها تقلق عندما تعرف أنك كثيرا ما تمرض.

قال بسرعة:

- أنا لا أقول لها ذلك وإلا لحرمتني من الخروج.

همست "جايل" وهي تبتسم له في حنان:

- ولو فعلت فإنك ستزداد مرضا على ما أظن .

تلعثم "هاري" وهو يقول في تردد:

- أتدرين لقد قلت لنفسي: إنني لو داومت على الحضور ربما هزمت خوفي وينتهي بي الأمر بالا أشعر بالخيبة . وإنني أتذكر انه في فترة ما كنت أنزف دما من أنفي في كل مرة يلكمني فيها "تشاك" في أنفي . والآن تحسن الأمر وأنا أنزف قليلا .

تأثرت الشابة من هذا الاعتراف حتى لم تستطع أن تعرف بماذا تجيبه. قالت له أخيراً:

- لا شك أنك يا "هاري" أشجع ولد في هذه المجموعة.

حدجها "هاري" بطرف عينيه وتساءل: هل تتهكم عليه ؟ أم هل هي صادقة؟ من الصعب أن يعرف.

نعم.. مع البالغين لا يعرف المرء ماذا ينتظر منهم . همهم فجاة:

- هل تعتقدين يا سيدة "فيشر" أن أحد السجناء الهاربين له قبضة فولاذية؟

قالت له بثقة لتطمئنه:

- بالتاكيد . لا .. ثم إنني واثقة بانهم في هذه اللحظة وراء القضبان .. فلا تقلق؟

أخذته لينضم إلى رفاقه . رغم وعودها إلا أنها لم تكن مقتنعة من أنهم في أمان . حاولت أن تبقى هادئة فجلست فوق حجر بالقرب من النار بعد أن نجحت في أن تجعل الأولاد يأوون إلى النوم. أشعلت واحدة من سجائرها النادرة . ربما بضعة أنفاس من الطباق تمكنها من

الاسترخاء وخلال دقائق عدة ظلت تسمع أصوات الأولاد المشاغبين ثم فجاة لم تعد تسمع شيئا . لقد نعسوا .

شيئا فشيئا بدأت تحس بالارتخاء مع هبات النسيم العليل وحفيف أوراق الشجر ووميض آلاف النجوم. فكرت في نفسها أنه أخيراً مر نهار ولو سارت الأيام على خير ما يرام فإنني ساخرج من التجربة سليمة وبعافية ربما تخرج سليمة ولكن بعافية هذا هو الأمل المفقود يا له من تفاؤل! ولكن كان يكفيها أن تفكر في اليومين الباقيين حتى تختفي ابتسامتها في الحال . كيف يمكن لآباء وأمهات - المفروض أنهم يشعرون بالمسؤولية - يأتمنونها على أولادهم ؟ إنها ليست مرشدة وإنما مدرسة لغة إنجليزية بسيطة وأم لولدين . على أية حال فإن على "هاريسون" سواء كان مديرا أو غفيرا فلن يخسر شيئا في الانتظار ... ولكنه سيسمعها هذا الوغد ! لم تكن "جايل" قد وصلت إلى قمة متاعبها بعد بل عليها أن تهتم بالأنشطة مثل الصيد وهي نفسها غير قادرة على ممارسته وأخذت تنادي من ينجدها في صمت.

فجاة وكأنما حدثت معجزة حيث استجابت السماء لندائها ظهر شبح أمامها ومد قبضتيه مهددا .. قبضتين بلون الفولاذ.

الفصل الثاني

نهضت "جايل" مرة واحدة وهي على استعداد للفرار ولكن قبضة حديدية على كتفها منعتها من الحركة . رأت نفسها مهاجمة من عملاق ذي قبضتين فولاذيتين مرتد ملابس قطاع الطرق ويجر سلسلة في قدمه ارتعبت ورفعت يدها لتضربه عندما سمعت صوتا اخرجها من دوامة خيالها:

-"جايل"! هل أصبت بالصمم ام ماذا .. لماذا لا تردين علي؟

تاملت على ضوء النيران الخابي وجه المهاجم:

- هل هذا انت يا "كلارك"؟

في الحقيقة كانت تقاطيع محدثها ليس بها ما يطمئنها. كان انفه افطس وقد كسر عددا من المرات . الله وحده يعلم عددها وتلك الندبة على جبهته . وشعره الذي لم يقصه يجعله يشبه قطاع الطرق . ومن ناحية اخرى كانت ملابسه المضبوطة على جسده تظهر قوة كتفيه

واتساعهما وعضلات جسده البارزة . وكانت القوة المنبعثة من شخصيته تجعله جذابا وكريها في آن واحد . ولكن على الاقل إنها تعرفه وهذا يكفي .

انهارت الشابة بجوار النار بعد أن انهمكت طوال النهار وأحست بالخيبة من هذه الحادثة غير المتوقعة. فجاة غيرت رأيها . نهضت بصعوبة وركلت ساق صديقها وقد اسعدها ان تسمعه يتاوه من الألم .

صاح "كلارك" مشدوها:

- ولكن ماذا حدث لك؟

قالت له شارحة وهي تعود إلى الجلوس على صخرتها:

- اسمع ! كان لابد أن افعل هذا وإلا أصبت بازمة عصبية ربما فضلت انت أن أبدا بالصراخ؟

تجهم وجهه وهو يستقر على العشب بجوارها .

- بالتاكيد . لا .. ولكن خبريني: لماذا انت عصبية هكذا؟

قالت له بحدة وهي تحدجه بطرف عينيها:

- القبضة الفولاذية ! لابد أنك سمعت عنها؟

حاول "كلارك" أن يفهم وهو يتساءل : إن كانت قد أصيبت بالجنون .

صاح وهو يهز راسه موافقا:

-آه! ذو القبضة الفولاذية المشهور هذا ؟ لقد فهمت، إنني لم انتبه إلى مفتاح السهرة ! حكايات الأشباح .. حسنا .. لا باس معي.. كان لابد أن اظهر مبكرا عن ذلك بدلا من الحضوربعد العشاء.

- مبكرا عن ذلك؟ ولكن منذ متى وانت تتلصص علينا؟

- عندما لحقت بكم كنتم لا زلتم على بعد مئات الأمتار من البحيرة . ولكني لم اتلصص عليكم.

أصبحت "جايل" ارجوانية الوجه من الغضب:

www.zahrawina.com

- أنا لا أصدقك في أثناء كل هذا الوقت كنت موجودا هناك وتبعتنا وقد كسرت الأغصان تحت قدميك في أثناء سيرك وأنا كنت أموت رعبا ولم أكف عن التفكير في هؤلاء السجناء الهاربين . لقد تصورتهم مختفين خلف الأشجار وعلى استعداد للهجوم في أي لحظة.

عندما رأى "كلارك" أنها بدأت تحتد أبعد ساقيه في الحال ليتجنب ضرباتها وقال معتذرا ولم يحاول الابتسام:

- اسمعي ..أنا أسف.

ولكنها لم تعره أي انتباه وواصلت حديثها:

- لماذا ؟ لماذا لم تقل شيئا ؟ إن الأطفال سيجنون سعادة عندما يجدونك بينهم.

أجاب برقة:

- أعرف ذلك جيدا . ذلك لأنني في نظرهم لاعب كرة القدم المشهور ولهذا السبب بالذات لم أحاول التدخل قبل الآن . ولكن ربما كنت مخطئا.

- لست أفهم.

شرح لها وهو يهز كتفيه قليلا:

- أنت مكلفة برعايتهم في أثناء رحلة الجوالة ولو انضممت إليكم مبكرا لأفسد حضوري كل شيء.

نظرت إليه "جايل" وهي حائرة ومشوشة:

- هل تخشى أن تفسد سلطتي بين المجموعة؟ أنت إذن شخص مهذب فعلا.

- ولكن .. نعم وظريف أيضا.

ضجت ضاحكة ثم عادت إلى جديتها:

- والآن لننتقل إلى الاعتراف . لماذا كلفت نفسك كل هذه المشقة

للحضور إلى هنا ؟ اتعشم على الأقل ألا يكون هدفك هو قتلي خوفا.

ضحك "كلارك" عاليا وتردد ضحكه وسط السكون. أسند ظهره على جذع شجرة ووضع كفيه على ركبتيه . كان يبدو مسترخيا للغاية وراضيا بقدره حتى إن "جايل" أحست بقلبه يكاد يقفز من صدره لينضم إلى قلبها . تمالكت نفسها في الوقت المناسب حتى لا يفوتها رده . قال لها مطمئنا:

- بالتأكيد لا .. لقد أرسلني "هاريسون" لأعاونك.

شخصت الشابة أمامها بأنظارها وهي تفكر في المعنى الحقيقي لما قاله . ثم أخذت سيجارة من جيبها وأشعلتها في صمت وقالت معلقة وهي تبتسم:

- آه .. ها .. حقا؟ كم هو لطيف من جانبه ! ولماذا تعتقد أن "هاريسون" كلف نفسه هذه المشقة؟

- إنه يعلم أنني أعشق الأطفال ثم إنه ظن أنك في حاجة إلى المساعدة .. هل ضايقك هذا ؟ ربما فضلت أن تكوني بمفردك.

- لا .. أنا أول من سيشعر بالشكر لأنني كنت أخشى ألا أتمكن من الخروج سالمة ولكن في الحقيقة لم أكن أريد أصلا أن أكلف بهذه المهمة مع هذا الفريق المتوحش. إن ما يدهشني هو أنه لا أنت ولا "هاريسون" يفكر في رد فعل آباء الأولاد .ماذا سيقولون لو عرفوا أننا معا بمفردنا وسط الغابة؟

قال بابتسامة مرحة:

- لقد بدأت أفهم . لا تقلقي . لقد أخبر "هاريسون" العائلات التي لم تجد أي غضاضة في ذلك.

همهمت وهي تسحق سيجارتها:

- إن الموضوع تازم. لقد مر شهر منذ استقررت في بلدتنا. أليس

www.zahrawna.com

كذلك يا "كلارك" ؟ كم عدد المرات التي مدحوا فيها في وجودك مواهبي كطاهية؟ كم عدد الناس الذين تحدثوا عني مادحين ؟ يا لشخصيتها ويالها من أم..!

تجعد جبين "كلارك" بينما استدار نحو "جايل" وهو شارد . ثم فجاة نهض مرة واحدة واتسعت عيناه عندما اكتشف ما تعنيه بقولها هذا.

- يا إلهي ! هل لعبوا عليك نفس الدور؟

وافقت بهز رأسها:

-أوه ! نعم . في المرة التالية عندما يحاولون أن يقنعوني أنك صيد ثمين سانفجر فيهم . إنني لم أعد اتحمل تلميحاتهم وابتساماتهم ذات المغزى. إنني لا أستطيع أن أخطو خطوة دون أن يحدثني أحدهم عن مغامراتك . ثم تاتي اللحظة القاتلة عندما يمدحون لي مواهبك كممثل .. هل تتصور هذا من أجل بعض اللقطات الإعلانية . من الواضح أنهم قبل كل شيء متاثرون بظهورك المنتظم على الشاشة الصغيرة.

ضحكت الشابة وهي سعيدة لأنها استعادت روحها المرحة مرة أخرى روح الفكاهة . استانفت وهي متجهمة:

- كل هذه الأنماط من "الرجال المثاليين" الذين يقدمون مختلف المنتجات يتشابهون بالنسبة لي وأنا أسفة لأنني أقول لك هذا ولكنها الحقيقة.

قهقه وقال:

- دائما الكلمة اللطيفة على فمك ! أليس كذلك؟ لقد لاحظت انه من بين كل المزايا التي ذكروها نسوا أن يخبروك انني فتى مليح.

زفرت وهي تضربه على كتفه:

- آه لو علمت أن كل الناس متفقون على نقطة واحدة هو انك تضج رجـــولة . ولا أكـــذب عليك إذا قلت: إن هذا هو الاصطلاح الذي

يستخدمونه .. رجل بحق والاهم من ذلك ابتساماتهم التي تقول أكثر من ألسنتهم . تضايق أحد الأولاد من حديثهما فاخذ يتقلب في نومه. قلقت "جايل" وكتمت في الحال ضحكتها العالية بكفها وعندما هدأت في النهاية اخذت تتامل ملامح "كلارك" الرجولية العميقة . همست وهي ساهمة:

- في الحقيقة إنني أجدك جذابا ولكني لا أفهم حقا ما الذي يجذبني نحوك.

- مغناطيسيتي!

- ربما .. وأعتقد مع ذلك أن تناقضاتك هي التي تسحرني أكثر.

- رائع ! أود أن اعترف بذلك ولكن تناقضاتي لا أحس بوجودها.

قالت له شارحة:

- على عكس معظم لاعبي كرة القدم فإن لك عنقا وهذا يدهشني.

وافقها بابتسامة عريضة.

- هذا يعتمد على موقع اللاعب في الملعب . أنا مثلا أتيحت لي الفرصة أن أكون في مركز ممتاز وأن يكون لي عنق طبعا.

صمتت "جايل" واستمرت في تامله في صمت لقد كان "كلارك" مقبولا جدا ولماذا لم تلاحظ ذلك قبل الآن؟ كانا وهما جالسان في حرارة الليل اللطيفة يحسان فجاة بانهما متقاربان. انتزعها صوت "كلارك" فجاة من أفكارها:

- ماذا سنفعل ؟ ربما من الأفضل أن أرحل في الحال .

صاحت:

- لا مجال للمناقشة ! وإلا فلن استطيع ابدا أن أتعامل مع هؤلاء الأولاد . أما فيما يتعلق باصدقائنا فيمكنك أن تتعود على نياتهم والحل الوحيد للتعايش معهم هو أن تتقبل بابتسامة كل نصائحهم ثم

تنساها فور أن تعطيهم ظهرك. لقد مارست هذه الطريقة من سنوات طويلة حتى أصبحت خبيرة.

- أتقصدين أن هذا جزء من عاداتهم؟

- أوه ... أسوأ من ذلك . إنه جزء من حياتهم . إنهم لا يريدون أن يروا أحدا يعيش وحيدا وفي الحال يهتمون بحالته . ربما ظنوا انهم مسؤولون عنه . وهذا بالضبط ما حدث لي . بالتاكيد في البداية لم يتجاسروا على التدخل . ثم فجاة بعد عدة اشهر من وفاة زوجي نشبوا مخالبهم في وهم يحاولون في يأس أن يدخلوني بيت الزوجية ولكني تعودت على ذلك شيئا فشيئا.

قال معلقا:

- لست أفهم إنك تقبلين هذه المهزلة .. وأناالذي أعددت الكثير من المشروعات .

- المشروعات؟

- نعم.

- فهمت ... لقد نجحوا في أن يوقعوك في الفخ. اليس كذلك؟ ولسوء الحظ انني لست قابلة للكسروليست لدي نية تغيير رايي.

تاملها "كلارك" فترة طويلة دون أن يقول شيئا ثم قرر فجاة ان يقطع حبل الصمت . قال بتصميم :

- حقا؟

ابتسمت وهزت رأسها:

- يبدو عليك عدم الاقتناع . من الواضح أن ردي لم يوقظ فيك سوى غرائز الغواية . ومع ذلك فإنني لا اسعى إلى إثارتك وعليه ارجو أن تكف عن نظراتك لي التي تشبه نظرات الفهد.

- إنك تتحدثين بلا اكتراث عن العلاقات بين الرجال والنساء.

ردت عليه وهي ترفع كتفيها لأعلى:

- ولماذا تصعد المواضيع ؟ إنني مهياة لذلك ويكفيني أن انظرإلى الأولاد من حولي وهم من طبقة "ماناهاري" ملكة الجاسوسية و"دون جوان" ملك الإغراء وهم يلعبون لعبة القط والفار . إنني أفضل الأمور الواضحة المحددة . ولذلك اقول كل ما افكر فيه واحاول بالتاكيد ألا اجرح أحدا.

بدا "كلارك" في الحال مستاء وهمهم:

- انت لا تجرحين أحدا .. ربما؟ ولكن معي فإنك لا تترددين ولا تحرمين نفسك من هذه المتعة . ولكني افكر في فكرة رائعة وهي انني ربما في يوم ما ساحبك وإنك ستترددين في رفض عرضي عليك الزواج.

خفضت "جايل" عينيها وهمهمت من بين أسنانها:

- إنها غلطتي وكان من الواجب علي أن أصمت.

ثم رفعت عينيها نحوه وحدجته بابتسامة مقتضبة وقالت:

- من الواضح ان حديثي لاقى اذنا مصغية .

- هذا أمر طبيعي .. لقد وضعت بنفسك قواعد اللعبة وعلي الآن أن احترمها.

تلعثمت:

- انت صادق حقا ولكن لتعلم انه مادامت لا توجد لعبة فليس علينا أن نهتم بالقواعد .

قال وعيناه تبرقان من المكر:

- آه.. حسنا! ولكن كل شيء مسموح به؟

- يبدو انني اسات التعبير . إنني متمسكة فقط بالصداقة وقواعدها وليس القواعد الأخرى .

- قواعد الحب أم الإغراء؟

www.zahrawyna.com

لم تجب "جايل" واحست فجاة بانها مضطربة بعمق من وجود "كلارك" واخيرا اعلنت:

- الإغراء ؟ يالها من كلمة مرعبة. الا تجدها كذلك؟ إنها تجعل من المراة مخلوقا غبيا شديد الضعف امام فعل لا ترغب ان تتمه او تعتبره خيانة . لا .. حقا إنني لا استطيع ان أؤمن بالإغراء. إنني مقتنعة بان الحب هو الباقي وغيره زائل.

- إنها نظرية مثيرة للاهتمام. هل يمكن ان نطبقها؟

قالت وهي تضحك لتداري اضطرابها:

-آه.. لا ! ليست لديك النية ان تطلق العنان لخيالك ومع ذلك يبدو أنك على وشك الرحيل لأن أصدقاءنا الطيبين في "برادل" اعدوا خطة للهجوم.

ضحك "كلارك" وتردد صوت ضحكاته في سكون الليل:

- حسنا لقد غيرت رأيي .. وإنني اشعر بالسعادة مقدما والاكثر من ذلك أن كل ما صرحت به لي هذا المساء زاد فضولي وفتح شهيتي .

- لا تتحمس من فضلك .. لقد سحبت كل ما قلته .

- لقد فات الأوان واريد أن اريك من اي معدن صنعت ولابد أن اقدم برهانا على عبقريتي.

ضحكت "جايل" ضحكة عصبية:

- ومن المفروض انني في هذه اللحظة بالذات لا بد أن اقوم بدور المراة المرعوبة وان اصيح: "إنني لا اسمح لك ان تحدثني بهذه اللهجة او يالها من جراة حقا!

- بالضبط وإنني اتساءل: لماذا انت لا ...

لم يكن هو الوحيد الذي يتساءل، فإن "جايل" هي الأخرى لا تفهم لماذا تبقى في مكانها صامتة ودون ان تبدي اي اعتراض . نهضت من فوق

مقعدها الحجري ثم خفضت نظراتها نحو "كلارك" .

اعلنت:

- لابد ان انتهز هذه الفرصة حتى انسحب ولنقل: إن... إنني لا استطيع مسايرتك في لعبتك ربما كانت معقدة اكثر من اللازم بالنسبة لي ولكن ايا كان الأمر فإنني ساتابع مناوراتك في مواجهة اصدقائنا وجيراننا.

بعد ذلك بفترة عندما دست نفسها في حقيبة النوم سمعت صوت ضحكات رقيقة تتسلل وسط السكون . تاهت نظراتها بين النجوم ولم تستطع ان تبعد ذهنها عن المحادثة التي تمت منذ قليل.

لماذا لم ترفض بعنف تعليقه الجارح المهين؟

لماذا لم تقفه عند حده في الحال؟ كيف امكنها ان تقبل بهدوء إعلان "كلارك" وتصرفه كمنتصر؟

ربما بدت متسامحة بسبب صراحته ؟ ولكن هل كانت "جايل" نفسها صريحة ومخلصة؟

إنها تميل بطبعها إلى عدم الثقة واحيانا تحتقر الاشخاص اللئام . على العموم فإن "كلارك" لم يتعمد ان يخفي عنها نياته. وقد حمدت له ذلك.

ولم لا .. الم تحس بالفضول نحوه دون شك؟

لقد شعرت بالدهشة والفخر من اهتمامه بها ولكنها بالتاكيد لم تكن لتعترف بذلك لـ"كلارك" .. وهي ايضا ترفض الاعتراف بانها منذ أول ليلة التقت به افتتنت بهذا الرجل بعمق . وفي تلك الليلة نشات علاقة غريبة بينهما وإحساس غريب أدار رأسها بعض الشيء.

لقد حاولت ان تنسى تلك الحادثة إلى ان ظهر امام آلاف المشاهدين مؤخرا امام الشاشة الصغيرة مساء يوم اثنين . ومنذ تلك اللحظة

www.lahawyna.com

اقتنعت انها مبهورة مثل بقية الناس بشهرته.

ومع ذلك لم تنخدع . فقد لاحظت في الحال أن المشاعر التي يثيرها داخلها حاولت ان تخفيها . لاشك أن لديه معجبات يلقين بانفسهن تحت قدميه وهي لا تريد باي ثمن أن تضيف اسمها إلى القائمة ورغم صمت "جايل" وعدم اكتراثها الظاهر فهي سعيدة مثل بقية سكان "برادل" باستقبال اللاعب القديم في المدينة الصغيرة ولابد أن هناك صداقة قديمة تربط "كلارك" بـ"هاريسون" لأن الأول قبل وظيفة قدمها المدير "هاريسون" ووعده انه في اثناء هذه الفترة سينمي فريق كرة القدم المحلي إلى مرتبة الفوز.

دست "جايل" رأسها في وسادتها لتكتم ضحكتها.

إن "كلارك جيلبرايت" الشهير يعمل مدربا للفريق الصغير في البلدة الريفية وايضا مدرسا للتاريخ ! كل ذلك يبدو كمزحة ولكن لو عرفت المعجبات بذلك...

أن يمسك بين يديه فريق "ثيران برادل" ويقودهم إلى النصر ليس بالمهمة السهلة . ولكن "كلارك" لم يتوان عن أن يعلن انه سيصل إلى ذلك. وإذا كان هناك شخص ما قادر على ذلك فهو "كلارك" نفسه ومع ذلك فليس هناك غرور في ذلك لأن هدوءه وثقته بنفسه كانا واضحين . ورغم انها لا تريد ان تعترف فإن وجوده اضاء حياتها.

وعدت نفسها انها لن تقوم بمغامرة معه ونظرا لمكانتها وسط المجتمع فلن تسمح بمثل هذا الجنون كان عليها بعد وفاة "دان" ان تتغلب على احزانها لتكرس حياتها كلية لـ"بريني" و"جيف" ثم بمرور الوقت تعودت الوضع الجديد وأدركت في دهشة انها لم تعد تعاني غياب رجل عن حياتها . بدأت رغباتها تخبو شيئا فشيئا ولم تعد تعذبها.

كانت مهمة التعليم والانشغال بولديها ، يستغرقان كل وقتها وطاقتها ولا تشكو لحظة الوحدة او الأسى على حظها. وسرعان ما صنعت حياتها الجديدة التي ترضيها اليوم وتملؤها بهجة وسكينة.

ابتسمت وهي تفكر في "كلارك" ومشروعاته الخيالية. إنها بالتاكيد ليست في حاجة لتعقيد وجود ذلك المدعو "جيلبرايت" الذي لا يناسب ذوقها . ولكن فكرة أن تكون موضع اهتمام مثل هذا الشخص المشهور ليست سيئة. على أية حال ستعيش صيفا لن تنساه.

اما بالنسبة للأحاسيس الغريبة التي تحسها في وجوده . فليس هناك ما يقلقها بشانها . أليس لديها من النضوج بحيث تستطيع السيطرة عليها ؟ زفرت وتقلبت على جانبها ثم قررت النوم.

جلس "كلارك" مستندا بظهره على جذع شجرة ومشبكا يديه خلف رأسه وأصاخ سمعه.

سمع وسط سكون الليل "جايل" وهي تتقلب في حقيبة نومها . وتذكر في الحال رد فعلها أمام عرضه المتحدي عن عمد . فكر في حنان كم هي مخلوقة رائعة لا مثيل لها . منذ أن وقعت عيناه عليها من أكثر من شهر حتى أدرك في الحال انها مختلفة واليوم فقط اكتشف مدى صحة إلهامه.

عندما حضرت السهرة التي نظمها "هاريسون" على شرفه كان حضورها قد اشاع البهجة في المكان ببريق جديد. ومنذ دخولها القاعة قام كل الناس بمحاولة تحيتها واخيرا وبعد نصف ساعة استطاعت أن تخترق الصالة وشعرها الذهبي يضوي تحت الثريا. وكان ذلك كافيا أن يقع "كلارك" في سحرها ومنذ ذلك الوقت وفي كل مرة يعيد التفكير فيها يحس بانه متاثر بشكل غريب . وربما كان هذا هو السبب في أنه لم يلاحظ الغمزات والتلميحات والابتسامات ذوات المغزى من حوله . لقد

كان من الطبيعي أن يمدحوها أمامه بهذه الدرجة:

إن "جايل" لا مثيل لها ... كل ما فيها يفتنه وهذا الافتتان لم يتركه قط وكأنه أدمنه . كان كل سكان "برادل" يعاملونه كشخص مشهور عدا "جايل" . وهي مرة ثانية تختلف عن الجميع في استقباله صديقا كأي صديق عادي . وقد انبهر في الحال من بساطتها وبجمالها الأخاذ وقرر أن يعرفها في يوم ما معرفة حميمة قبل انتهاء الصيف . قال في نفسه: "إنه من الطبيعي أن تحيط بهما كل الأعين ويجب عليه أن يطور خطته حتى لا يثير الشكوك إن الجميع يحبون "جايل" وطبيعي أن يدافعوا عنها بوحشية وعليه أن يكون حريصا وصبورا حتى لا يتحول الجميع ضده ."

وكان كل هذا الحب من جانب الجميع لها يحيره وقرر أن يصل إلى أهدافه وهو ليس من النوع الذي يعوقه أي شيء ثم إنه يحب التحدي . لقد جاء إلى "برادل" ليتخلص من ماضيه وديونه القديمة وذكرياته . ثم ها هو شعاع شمس جديد يضيء أيامه ويدفئ لياليه وها هو الصيف يعلن أنه سيكون ساحرا وسيستفيد من كل لحظة.

www.tahaddna.com

الفصل الثالث

تضايقت "جايل" من إيقاظها في هذا الصباح المبكر فدست وجهها في الحال داخل فراشها. زمجرت في غيظ:

- يا إلهي ! كل هذا الضوء .. والضجة .. كيف يصبح مزاج المرء صافيا إذا كان عليه أن يبدأ نهاره هكذا؟

- صباح الخير ... صباح الخير.. هل هناك أحد داخل هذه الحقيبة؟

جاءها صوت "كلارك" بعيدا مكتوما من وراء قماش حقيبة النوم. ومع ذلك لم تستطع أن تتجاهل الضربات التي تلقتها على ظهرها وهو يتظاهر وكأنه يطرق الباب . صاحت:

- لا.. والف لا ..

لماذا لا يمنحونها لحظات من الراحة ؟ ورغم صيحات الأطفال إلا أنها ميزت بوضوح ضحكات "كلارك".

أحست بالتوتر والغيظ ولم تغفر له إفساده لهذا الصباح الرائع في تلك اللحظة المبكرة ولكن لم تكن هذه آخر متاعب "جايل" فقد عاود "كلارك" الهجوم وهو يتظاهر هذه المرة بالمرح وقلد صوت الديك:

-كوكو . كوكو إنه أيضا .... ! ، لوعلمت مدى لذة القهوة! والفطور لن أحدثك عنه.

- هل أعددت القهوة فعلا؟

أخرجت رأسها بصعوبة من فتحة حقيبة النوم الخلوية ورأت في الحال شعاع شمس يبتسم لها . صرعتها رائحة القهوة والطعام وتشممت بطرف أنفها ثم فتحت عينيها على اتساعهما وقد جرى ريقها. سألت:

-لحم مقدد!

-نعم.

أضاء بريق عينيه السوداوين وقبع بجوارها. فكرت لحظات ثم قررت أخيرا أن تترك عشها فتحطمت فترة طويلة وتركت خصلات شعرها الذهبي تنسدل على كتفيها. همهمت وهي تحدجه:

- إنني أتذكر تماما عدم وجود لحم مقدد ضمن التموين . هل خرجت للصيد أم ماذا؟

- شيء مماثل وإنما بالسيارة في أثناء نومك صحبت الأولاد للقيام بجولة تسويق.

عند هذه الكلمات هبت واقفة في الحال:

- في السيارة ؟ أية سيارة؟

أشار لها "كلارك" لتنظر إلى يمينها حيث أوقف سيارته "الكاديلاك"

تبعت نظراته وهي صامتة حيث رأت تلك السيارة الفاخرة . غضبت لأنها فزعت لهذه الدرجة ورفعت عينيها نحوه ببطء وقالت في غيظ :

- فهمت .. بينما أتخبط داخل هذه الغابة مع هؤلاء الوحوش الصغيرة المتعطشة للدماء أنت تتهادى في سيارتك الفاخرة بجوارنا حتى تنضم إلينا وكان بضعة أمتار تسيرها تبدو لك مؤلمة للغاية .. أوه! كم عانيت يا مسكين!

- أخيرا استيقظت يا أمي!

لم تستملح "جايل" استظراف ابنها على الإطلاق فليست اللحظة مناسبة . حدجته بنظرات كالرصاص وهي تامل أن تسكته ولكن "جيف الرهيب استمر في مضايقاته وقال بلهجة مرحة:

- لقد بدأت أشك في أسوأ الاحتمالات . لقد تساءلت: إن كان ثعبان اندس داخل حقيبة نومك وسط الليل. إن الثعابين تحب الدفء الإنساني.

ثم رحل لينضم إلى رفاقه . راقبته "جايل" وهو يبتعد قبل أن تطلق زفرة طويلة . قالت وهي تهز رأسها:

- لدي إحساس أنه أصيب بالإحباط لأنه وجدني لازلت على قيد الحياة ! لاشك أنني أم سيئة.

عندما رأى "كلارك" مظهرها المهموم لم يمنع نفسه من الضحك:

- ألا تعتقدين أنك تبالغين؟

التفتت نحوه وحدجته بنظرة اتهام ثم صاحت:

- إنك لن تخسر شيئا . لقد لعبت لعبة قذرة ولست مستعدة لأن أسامحك على الإطلاق.

حاول "كلارك" أن يسترد جديته وإن كانت بعض علامات التجهم ظهرت على وجهه:

- اسمعي يا "جايل".. أؤكد لك أنني كنت سأسعد لو صاحبت الأولاد في هذه الرحلة الكشفية ولكن كان علي أن أتغيب بضعة أيام ولم أعد سوى مساء أول أمس، ثم إنني لم أحضر في السيارة حتى هنا. إنني لم أحضرها إلا هذا الصباح. والحقيقة أنني سرت مسافة لا بأس بها مساء أمس قبل أن ألحق بك.

- لا بأس .. كم عدد الأمتار .. أو ربما الكيلومترات؟

- حسنا..

- كم؟

فكر لحظات قبل أن يجيب فلا داعي للهزر. همس:

- خمسمائة متر على ما أظن.

ظلت "جايل" فاغرة فمها بالوقاحته حقا! ثم هزت كتفيها وقبلت أن يساعدها في النهوض.

قالت في دهشة:

- ولازلت واقفا على قدميك ؟ إنها معجزة ! لو لم يكن مخي المسكين نائما تماما لوجدت وسيلة للانتقام ولا أجد أمامي سوى حل واحد.. أعطني القهوة وفي مقابل ذلك سأغفر لك كل ما ترغب. ولكن لا تستغل كرمي أيها العزيز.

ناولها "كلارك" قدحا كبيرا من القهوة فأخذت ترتشفه على جرعات صغيرة بينما هو يتأملها بإمعان. فجأة أغلق عينيه وارتسمت ابتسامة على شفتيه وهمس:

- إن الصباح رائع في هذه الساعة المبكرة.. وكل شيء مسموح به .. أوه يا "جايل" أمامك الكثير لتتعلميه.

فجأة تغيرت أحواله . حاولت "جايل" أن تفهم سبب اضطرابه ولكنها لم تعثر على أية علامة يمكن أن ترشدها. لابد أنه غير قواعد اللعبة وهي تحس بالشرود بحيث لا تستطيع تتبع هذا التغيير وهذا الانقلاب الداخلي . إن هذا لم يكن متوقعاً في برنامجها . كانت تحب كثيرا معاكسته وإغاظته وتحديه بالكلام وتمطره بالأسئلة وأحيانا تضحك من نكاته الغامضة ولا تجد في ذلك غضاضة ومع ذلك قبل أن تجد ردا مرضيا كان الأولاد يحومون حولهما وظنت "جايل" في النهاية أن خيالها شطح بها .

حدجته في أثناء الفطور بنظرة موارية ولكنها لم تكتشف ذلك الوميض الذي يزيد حيوية نظراته فيما بعد وبينما كانت "جايل" ترتب وتطبق حقائب النوم بدأ الأولاد يعدون معداتهم للصيد . أحست بالاسترخاء والخلاص وهي تراهم عن بعد في مناوراتهم من الطيب أن "كلارك" موجود وحمدت لـ"هاريسون" إرساله لها على الأقل سيجنبها سخرية الأولاد منها ولكنها لو كانت تعلم..! عندما وقف "كلارك" فيما بعد أمامها وقد أمسك بقصبتي صيد فضلت أن تتظاهر بالدهشة وقالت له:

- ألا تكفيك قصبة واحدة؟

قال لها بلهجة حماسية:

- أوه بلى . ولكن الثانية من أجلك لقد أخبرني "جيف" أنك لا تعرفين الصيد وعليه قررت الاهتمام بحالتك لم يتأخر الوقت على التعلم .

- هذا لطيف حقا منك يا "كلارك" .. أترى ..؟ لقد حاولت كثيرا ولكن

دون جدوى .

- إنك ستتعلمين بسرعة وصدقيني!

ربت كتفها وابتعد. قامت "جايل" بالجري وراءه:

- أنت ! ألم تفهم ؟ إن هذه المحاولة بلا أمل. لقد حاولت سنوات طويلة وبذلت كل جهدي للتمكن من هذه الطريقة ولكن لست أدري لماذا كل مرة ألقي بالصنارة تشتبك بشجرة . لا شك أن الأشجار هي أهداف صيدي المفضلة. في يوم بمناسبة عيد الميلاد كانت شجرة البلوط الخاصة بنا هي التي وقعت - من خيبتي- في الصيد . ماذا تريد أكثر من هذا لأثبت لك أنني لا شيء .. ربما أستطيع صيد الأشجار أما الأسماك فإنني لن أرى أبدا لونها.

ظل "كلارك" يسير بخطوات ثابتة ومصممة دون أن ينصت لاحتجاجاتها . قال لها دون أن يستدير نحوها:

- لا تستسلمي بهذه السهولة!

زمجرت من بين أسنانها:" إنه لا يصدقني ! حسنا هو الجاني على نفسه، ساقدم له عرضا مسرحيا لم يره من قبل ." ومع ذلك فقد كانت محاولاتها الثلاثة الأولى للصيد إيجابية مما أشعرها بالأسف ولكن في المحاولة الرابعة فقط حدثت الكارثة .

كانت كالمرات الثلاثة السابقة قد تبعت تعليماته حرفيا ولكن يبدو أن الصنارة لم تقصد سوى رأسها . بينما كانت تراقب سطح الماء شعرت بحركة خلفها وسط الأشجار . كانت على وشك الهروب ونظرت نحو الأشجار وهي واثقة بانها ستجد الشيء الذي شتت انتباهها : كان ملتصقا باحد فروع شجرة الصفصاف المخلوق الذي مهمته في الحياة

تعذيبها وهو السمكة :

وعندما أرادت أن تحذر "كلارك" اندفعت الصنارة وسط الماء وظل الخيط معلقا في الشجرة مع السمكة. تهكمت على "كلارك" وهو يحرك قصبته.

- إنك لم ترغبي في الإنصات إلي.

تلجلج وهو مذهول وكأنه لا يعرف مدى جهلها:

- ولكن كيف استطعت بحق السماء إرسالها إلى هناك.

- لست أدري لأنني لا أدرس الطبيعة وإنما اللغة الإنجليزية.

تنا بعت الأحداث بعد ذلك بسرعة ووجدت"جايل" نفسها ممسكة بكل قوتها بقصبة صيدها وهي تحاول الإمساك بالسمكة الضخمة التي التهمت الطعم . ورغم صيحات الاحتجاج من الأطفال فقد شدت الخيط بسرعة فتحررت السمكة من الصنارة فجاة وغاصت بسرعة وسط ماء البحيرة الداكن..

ساد صمت ثقيل فجاة على المجموعة وخفضت "جايل" انظارها لأسفل وهي تحس بالذنب وعندما اكتشفت ستة أزواج من السيقان مزروعة حولها رفعت رأسها في خجل وهمست في ابتسامة بريئة:

- ياله من وحش!

تجهم وجه "كلارك" في البداية ثم فجاة انهار الجميع على العشب وهم لا يستطيعون أن يكتموا ضحكاتهم . قال وهو يلهث وقد انحنى على شكل غريب وهو يتلوى :

- يجب أن تشرحي لي كيف استطعت تحقيق هذه المعجزة؟ قهقه الأولاد في صوت هادر وقد صدقوا أن تلك الأمور لا تحدث إلا للأمهات.

بدت "جايل" بروح رياضية ولم تتضايق على الإطلاق وبدأت تسترد هدوءها شيئا فشيئا عندما رأت "كلارك" جالسا فوق العشب وهو يبتسم للشمس المشرقة فضلت أن تعطيه ظهرها حتى لا تفقد أعصابها أمام منظره ولكن ذلك لم يدم سوى وقت قصير . فجأة أحست به يلف ذراعيه حول وسطها ويرفعها ليلقي بها وسط البحيرة بين تصفيق الأولاد ورأت على وجهه ابتسامة لم تحبها على الإطلاق

- إنك ستندم على هذا يا "كلارك"!

- أتظنين هذا؟

- اسمع ! لقد ارتكبت لتوك غلطة خطيرة ... انتظر ! هل تظن انك هزمتني بمثل هذه الأعمال ؟ وكل مشروعاتك .. هل تريد أن تلقي بها إلى الماء مثلي؟

قال مازحا دون أن يطرف له رمش:

- في الماء؟ يالها من فكرة!

في اللحظة التي غاصت قدماه فيها في الماء تعلقت به بكل قوتها . قالت وهي تحاول أن تظل هادئة:

- إن لك طريقة غريبة في الوصول إلى النساء . إن طرقك تجعل المرء يرغب في .. من الأفضل أن تجلس ونتناقش بطريقة ممتازة وللمرة الأخيرة.

- ولم لا ؟

بدأت لا تطمئن إلى الوميض الذي رأته في عينيه. ظلت صامتة وهي تحس بالماء الدافئ يتسلل حول جسمها وملابسها ثم رفعت رأسها ببطء وحدجت مهاجمها في عينيه مباشرة قالت له :

- ألا تحس مثلا أنك تثير الدهشة ؟

لم تكن تنتظر رد فعله هذا فجأة أضاءت وجه "كلارك" ابتسامة أخذت تتسع شيئا فشيئا . ثم مزقت ضحكاته السكون المخيم على ما حولهما . ألقى نظرة من فوق كتفه نحو الشاطئ ووجد أن الأولاد لا يتلصصون عليهما . رد عليها :

- إنني أحس بكل شيء إلا أنني أثير الدهشة .

أدركت الشابة فجأة أنها تحت رحمته وأحست بضربات قلبها داخل صدرها أحست بالرجفة والاضطراب. وصلها صوت "كلارك" الأجش وكأنها في حلم . همست:

- لقد حان الوقت كي أعود إلى موقعي . ولدي إحساس أن الأولاد يدبرون مكيدة .. لقد تحدثوا من قريب عن إرسال أحدهم إلى كرسي الاعتراف وقد خشيت أن يكونوا يقصدونني .. ولكن لا ربما فكروا في "جيف" وإذا كان الأمر كذلك فإنني لا أريد أن أفسد عليهم المشهد فهو يستحق كل ما يحدث له.

ظلت "جايل" لحظات أنه لم يسمع كلمة واحدة من حديثها المسهب . ثم ارتسمت ابتسامة شيئا فشيئا على شفتيه . أمسك بذراعها وساعدها على النهوض والخروج من البحيرة . بينما كانا يتجهان نحو المعسكر لينضما إلى الأولاد تأملت "جايل" مسلكها الغريب نحو "كلارك" . سألت نفسها بصوت منخفض:

"أليس من الأفضل أن أقطع علاقتي به ولا أسمح له بمغازلتي؟" إنها بالتأكيد لا تفكر في مغامرة معه ولكن معاكساته ربما جعلتها تتمادى في الخطأ وعليها أن تتدخل قبل فوات الأوان .

وأن تحدد له بالضبط وضعه بالنسبة لها . وليست هناك أية مشكلة في ذلك عدا - بالتأكيد- أن تخبره بأنها تقدر له اهتمامه كثيرا خاصة من رجل جذاب مثله . وبخلاف البهجة التي تحسها في وجوده إلا أنها أيضا محتارة في العواطف الغريبة التي يكنها لها.

ومع ذلك فقد عرفت الكثير من الرجال في حياتها ولكنها لم تحس قط بعمق الاضطراب كما تحسه وهي مع "كلارك". وبخلاف البهجة التي تحسها في وجوده إلا أنها في نفس الوقت تشعر بالحيرة من العواطف الغريبة التي يثيرها داخلها . لقد عرفت العديد من الرجال في حياتها. ولكنها قط لم تحس بهذا الاضطراب الذي تحسه بعمق بجواره . وعلى كل فقد قالت في نفسها: "إنها لا تستطيع أن تحصل على كل شيء لابد أن تتخذ قرارا في أقرب وقت ممكن."

وفي المساء بعد أن يخلد الأولاد إلى النوم ستحدثه بكل أمانة وسترى ماذا سيكون رد فعله ؟

ولكن عليها أولا أن تتحمل بقية النهار وإن كان ذلك ليس بالأمر اليسير إذا وضعنا في الاعتبار مدى تلهف الأولاد الذين يحومون حول "جايل" و"كلارك" فور عودتهما إلى المعسكر . إنهم مفعمون بالنشاط والحماس وليست لديهم النية أن يتركوا لها لحظة من السلام.

أثناء الغداء أخذوا يتلذذون بتناول إنتاجهم من الصيد وأخذوا يمطرون "كلارك" بالأسئلة حول مهنته كلاعب كرة قدم محترف . سأله "جيف":

- من الذي تجرأ وجعل ساقك في هذه الحالة؟ أراهن أنك ركلته ركلة قوية وحطمت وجهه ؟

وهو ينتظر الرد أوشك أن يتلقى هو لكمة من أمه ورفع نحوها عينيه الواسعتين وهو يتظاهر بعدم وجود سبب لثورتها:

- وبعد ... فإنني لم أقل أي شيء سيئ؟

شرحت "جايل":

- أنت تسأل أسئلة فضولية وتطفلية.

تدخل "كلارك":

- ليس الأمر خطيرا وساشرح له أن المهنة ليست كلها وردية وربما يصلح لهم ذلك درسا.

تكاكأ الأولاد في لهفة حول "كلارك" والفضول يقفز من عيونهم وهم على استعداد لالتهام كل كلمة تخرج من فمه . ساد الصمت بين المجموعة بينما أخذ يقص عليهم "كلارك" العديد من مغامراته مدعمة بالأدلة . وفي نهاية الحكاية طلب من الأولاد تنظيف المعسكر قبل مغادرته . وانتظر أن يبدأ كل منهم العمل ثم انضم إلى "جايل" سألها:

- ألم تصدمك آثار جروحي وإصاباتي؟

- تصدمني ؟ لماذا؟

- إنها ليست جميلة أو بالأحرى رهيبة بكل ما فيها من غرز مما يجعل جسمي وكأنه قطع مبعثرة جمعت بطريقة سيئة.

- لا تغال .. أولا أنا لا أرى في ذلك أية مشكلة ما لم تكن تنوي أن تقف أمام المصورين لالتقاط صورك من أجل مجلات النساء.

انفجر "كلارك" ضاحكا ، وجلس بجوارها فنظرت "جايل" إلى جروحه وإلى عضلاته البارزة القوية وعندما التقت عيناها بعينيه السوداوين أحست بالاضطراب وخشيت أن تنتهي تلك اللحظات السعيدة . لم يسبق لـ"جايل" أن أحست بهذا القرب من رجل مثلما تحس الآن ولا بمثل هذا التقارب من قبل . كل ذلك كان جديدا عليها .. ومخيفا جدا

ومشتتا لأفكارها . كانت تخشى أن تنتهي كل ثقتها شيئا فشيئا إلى أن تزول نهائيا .. فماذا يبقى لها بعد ذلك؟

ظل تساؤلها معلقا بلا إجابة . وخرجت في الحال من تاملاتها أمام ظهور الصبية وهم متحمسون وكلهم نشاط وحمية وكانهم إعصار هب على حين فجاة.

طوال فترة الرحلة الكشفية كانت الشابة مفتونة بوجود "كلارك" إلى جوارها . وفي كثير من الأحيان كانت تعجب بمسلكه نحو الأولاد. لقد كان يعاملهم وكانهم بالغون . وكان دائما صبورا ومهتماً بهم . كان يستمع إليهم ويضحك معهم ويمازحهم دون أن يفقد سيطرته على الموقف ولو لحظة واحدة .كانت نظرة واحدة منه كافية لأن يهدءوا . وكان الأطفال متاثرين به لدرجة انه لم يحتج لزجرهم .

زفرت "جايل" وقالت في نفسها: "إنه محظوظ . ويجب عليه أن يمنحني بعضا من سلطته .. ليس لأنها تنقصني ولكن..."

بدا وكانه سمع أمنيتها فالقى نظرة نحوها من فوق رؤوس الصغار. عندما رأت وجهه الهادئ الباسم أحست بعاطفة حادة ومؤلمة تخز قلبها . ولكنها لم تصب بالجنون لأنها إن لم تعترف بها فإنها استقبلتها في فرح.

لقد كانت "جايل" تختلف كثيرا عن الأخريات اللاتي لقيهن حتى الآن . إنه لا يريد أن يخلط بينها وبينهن . بالتاكيد يتحرق شوقا أن ينفرد بها ولكنه يفضل أولا أن يراقب تصرفاتها نحو الأولاد في الظروف الراهنة.

لقد كانت طبيعية للغاية معهم ... إنها لا تحاول أن تدللهم ولا أن توبخهم . وهي على عكس كل الناس المحيطين بها تحدثهم وتعاملهم كبالغين وتحترمهم . أليسوا مخلوقات بشرية مثل بقية الناس؟ والعديد من الوالدين ينسون هذه الحقيقة و"كلارك" قد يتحمل غباءهم

بصعوبة بينما "جايل" تعد استثناء من الآباء. فكر وهو يبتسم في نفسه انه يفهم الآن لماذا يحبها الجميع . تساءل: هل أحست بالاضطراب لأنها قرأت في عينيه مديحه الصامت لها؟ تعثرت فجاة في جذع شجرة بارز فوق الأرض وفقدت توازنها. أمسك بها ولدان في الحال ليمنعاها من السقوط . سمعهما وهما يشهقان عندما بدا أنها أطلقت سبابا قبيحا ثم أمسكت لسانها من منتصفه ثم انطلقت في الضحك أمام ذهولهما.

قالت مزمجرة وهي تتذكر سبب سعادتهما:

- أيها الوغدان ! اعترفا انكما كنتما تتمنيان أن ترياني وأنا مغطاة بالجروح!

اعترض "جيف".

- ولكن لا .. على الإطلاق . لقد راهنتهم لتوي أنك لن تستطيعي التحمل أن تظلي دون سباب وقد أوشكت أن أيئس عندما حدثت المعجزة .

زجرته "جايل" وهي تشعر بالمهانة:

- يا "جيفري فيشر" متى سمعتني أنطق ببذاءات ؟

أجاب ابنها دون تردد:

- كثيرا .. مرة عندما جرحت أصبعك في أثناء عملك التريكو ومرة عندما كسرت ثلاثة أظافر وأنت تبدلين إطار السيارة والمرة التي أسقطت فيها دستة من البيض عندما تعثرت في الكلب ومرة...

قاطعته عندما رأت كل العيون مثبتة عليها:

- كفى أيها المتشرد ! لو كنت أعلم أنك تعد ورائي..

انتهت الحادثة واستانف الأولاد سيرهم بينما ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتي "كلارك". لاحظت "جايل" أنها إن لم تنتبه فإن الأمر

سينتهي بها إلى عدم المقاومة وسيشطح خيالها نحو أحلام مستحيلة التحقيق . وبخت نفسها بان عليها أن تنتبه بعد أن قررت أن تضع الأمور في نصابها ولن تتراجع للخلف حتى لو كانت لديها رغبة في التراجع.

رغم رغبتها في أن يطول النهار إلى ما لا نهاية إلا انه انتهى . كيف يمكنها أن تدخل في الموضوع؟

حاولت طوال العشاء أن تجد الحجج القوية لمعارضته. أحست طوال فترة المساء بالإثارة . قص "كلارك" حكايات طويلة على الأطفال قبل أن يأووا إلى الفراش وفيما بعد عندما أصبحا بمفردهما ترددت مع ذلك في إثارة المشكلة. لقد أحست بانها في أحسن حال وهي جالسة بالقرب منه أمام حرارة نار المعسكر . بينما أضاءت وجهيهما مسحة من الضوء الذهبي الرقيق وخيم السكون بينهما مما جعل الكلام لا جدوى منه ... ماذا تفعل ؟ وماذا تقول له؟

انتزعها صوت "كلارك" الأجش من أفكارها:

- منذ متى وأنت تقومين بالتدريس؟

- منذ وفاة "دان" . ولما كنا قد تزوجنا ونحن صغيرا السن جدا لم يكن لدي إمكان إتمام دراساتي ، وعندما قررت استئناف دراستي كنت في الثلاثين من عمري حتى استطعت أخيرا الحصول على دبلومي. بعد وقت قليل أصيب "دان" بازمة قلبية فاخذت في الحال أعمل . كنت أحاول أن أجد نفسي...

- وهل وجدت نفسك؟

- لست أدري .. ولكني قضيت في الجامعة أحلى أيام حياتي .. إنني أعشق عبق الجامعة وهذا العالم الخاص والمختلف عن عالم المراهقين والبالغين. إن كل هؤلاء الطلبة المتحمسين والمصممين على النجاح لا

يريدون سوى شيء واحد هو التهام الحياة بكل أسنانهم. بالتاكيد إنهم يفهمون ايضا أنهم أحيانا تنكسر أنوفهم باللخسارة لانه إذا لم نعتقد في قوتنا فلن نحقق الهدف.

وافقها "كلارك":

- لقد فهمت ماذا تقصدين . فبعض الأشخاص يحاولون دائما المستحيل وكانما لم يشرح لهم أحد أن ذلك مستحيل.

- فعلا .... على العكس فيما يخصني لم أكن اعرف بالضبط إن كنت وجدت نفسي أم لا . ثم إنني أتساءل: هل أستطيع أن أدرك انني وجدت نفسي؟

تمدد "كلارك" على العشب ورفع عينيه نحو النجوم وعندما تكلم فيما بعد جاء صوته هادئا ورقيقا:

- أليس من الممكن ألا يجد المرء نفسه على الإطلاق؟ نحن نتغير كثيرا من يوم لآخر . نحن دائما في حركة وفي تطور فكيف نعرف النفس اليوم عن النفس أمس أو غدا؟

تمددت "جايل" بجواره وهي تضحك:

- إن الموضوع تازم . وإنني أتساءل: إن كنت ساتحمل الضربة ولكن قبل أن ننتقل إلى موضوع أخف وطاة أحب أن أكشف لك عن بعض مكتشفاتي: إنني أعتقد أن أشخاصا بعينهم يفضلون ألا يبحثوا عن ذواتهم لأنهم يخشون مما قد يكتشفونه وهؤلاء أناس لا ينضجون أبدا . إنهم يرفضون أن يتعرضوا لمساءلة انفسهم عن حقيقة كينونتهم إما بسبب الخوف أو الغرور .. وقد يحدث ألا يهتم الشخص أمام ظروف الحياة.

أدركت "جايل" في الحال أن نظريتها تنطبق على حالتها تماما . وعندما كان "دان" حيا كانت مليئة بالمرح وهي تقوم بوظائفها المنزلية

كام وزوجة وهي فرحة بدورها ولم تنتظر الكثير من الحياة.

ثم بعد وفاة زوجها اضطرت لمراجعة وضعها.

كان عليها أن تعمل وتصارع لتربي ولديها بمفردها وقد تعودت شيئا فشيئا على دورها الذي تعتبره الآن مرضيا ومثيرا.

عندما رفعت عينيها نحو "كلارك" لاحظت أن نظراته المركزة عليها كانت عميقة بشكل غريب.

قالت له وهي تضحك ضحكة خفيفة:

- ما رأيك لو انتقلنا إلى موضوع أخف؟ حدثني قليلا عن نفسك.

- أحب طريقتك في تملق الرجل .. إن حياتي في الحقيقة كتاب مفتوح .. ومن الأفضل أن تقولي لي: ماذا تحبين أن تسمعيه وتعرفيه عني؟

- حسنا .. لنبدأ بانني أحب أن أعرف الأسباب التي دفعتك للحضور إلى هنا. بالتأكيد لقد سعدنا أن نجدك بيننا . ولكني أرى في نفس الوقت أن اختيارك مثير للدهشة بعض الشيء . وبما لك من شهرة كان باستطاعتك أن تلحق بوظيفة في أي مؤسسة فلماذا اخترتنا ؟ نحن أقل الناس شأنا في القائمة.

قال يعاكسها:

- من باب التحدي بالتأكيد . ولا تنسي أنني لا أقاوم التحدي وانني أتحمس إلى أن أصل للنهاية . ولكن ذلك لأني متعلق بـ"هاريسون".

لم يحاول "كلارك" أن يشرح لها بالتفصيل علاقته بمدير المدرسة. كانت "جايل" تتحرق شوقا أن تعرف المزيد ولكن أدبها وتربيتها منعاها من أن تمطره بالأسئلة . قالت له :

- هيا .. تعال نتنزه على جانب البحيرة.

فهب واقفا ومد لها يده ليساعدها على النهوض:

- وهل نترك الأولاد بمفردهم؟

- لن نبتعد كثيرا حتى لا نفقد رؤيتهم.

رغم تأكيده إلا أنها أحست بالتردد في تتبعه.

- وإذا ظهر السجناء الهاربون؟

- لا تخشي شيئا فقد تم القبض عليهم مساء أمس حسب نشرة أخبار هذا الصباح التي أذاعها المذياع.

هل هناك اعتراضات أخرى؟

تلعثمت وهي تناوله يدها:

- لا شيء .. على كل لو فاجئوا الأولاد في نومهم لقضى عليهم الأولاد دون رحمة.

إنها لا تنقصها روح الفكاهة! ضحك "كلارك" في رقة ثم ابتعدا -ويد كل منهما في يد الآخر - إلى الشاطئ كان القمر قريبا من الأرض حتى إنه بدا وكأنه يرقب كل حركاتهما . وكان انعكاس ضوئه يذوب في الماء. أخذا يتأملان المنظر الريفي الليلي وقد تأثرا بجماله وسكينته . سألها هامسا:

- هل خرجت أحيانا مع الرجال الذين قدموهم إليك؟

- أحيانا وسرعان ما فهمت أنني كنت أنانية للغاية إذا فكرت في الارتباط بأحدهم.

- أنت ؟ أنانية؟

زفرت وهي تتذكر الماضي:

- آه .. نعم . لقد قبلت خلال سنوات طويلة الخروج بكل الحلول الوسط. ووقتها بالتأكيد لم أكن أدرك ذلك وبالتالي لم أكن أقلق . واليوم مع وضعي الجديد لا أريد أبدا حلولا وسطا ولا تسويات ولا تقديم تفسيرات أو أعذار . إنني متمسكة بأن أعيش حياتي كما

www.rewity.com

أشتهي دون حاجة لأن أبرر تصرفاتي . وهكذا ترى مدى أنانيتي.

- وهل تظنين أنك بارتباطك بأحد لن تستطيعي أن تعيشي حياتك بعد ذلك؟

- لقد حان الوقت .. ربما لأحدد لك بوضوح أكثر وجهة نظري. إنني أقصد بالعلاقة الصلة العميقة العاطفية، وأفترض أن أشخاصا بعينهم يستطيعون - وبطريقة فعالة- إقامة علاقات جسدية بحتة دون أن تتدخل عواطفهم في تلك العلاقات . ولكن بالنسبة لي هذا مستحيل.

وقف "كلارك" فجأة عن السير والتفت إليها:

- إذا كنت قد فهمت جيدا فإنك ترفضين أن تعطي اي شخص عاطفتك إذا لم تكوني تحبينه؟

قالت "جايل" معلقة وهي تلقي بحصاة إلى الماء:

- يبدو عليك أنك غير مقتنع . في الحقيقة فإن هذا ما لم أقصده . ثم إنني لا أستطيع أن أعطي مادمت لم أجرب العطاء . وقد أجد لذة كبرى في مغامرة عابرة . ولم لا ؟ ما يقلقني هو ما سأشعر به بعد ذلك عندما تنتهي المغامرة.

- وكيف هذا ؟

- نعم إنه الشعور الأبدي بالذنب .. هذه العاطفة التي أعرفها جيدا . لست أعرف إن كنت أعزو ذلك إلى تعليمي وتربيتي أم إلى طباعي . ولكني عانيته كثيرا وغالبا حتى إنني لا أريد أن أعيد الكرة.

أدهش اعترافها "كلارك" ونظر إليها في دهشة:

- وما الذي جعلك تحسين بالذنب لهذه الدرجة؟

- لا شيء من الناحية الفعلية . أما من حيث ما يخصني فهو كان هذه العاطفة موجودة معي باستمرار وداخل جيناتي الوراثية. إنني أشعر بالذنب نحو كل شيء ولكني لا أعرف السبب ربما بسبب

التعليم الذي تلقيته عن والدي وشعوري الشخصي بعدم الأمان .. ولكن ما أهمية ذلك؟! إنني لم أعد أبحث عن التفسير . بل بالعكس إنني أتجنب مواقف معينة لأنني لم أعد أرغب في أن أتعذب من تبعاتها . ونظرا لسوابقي في هذا المضمار ولحالتي المعنوية فإن المغامرات العابرة. لم تخلق لإسعادي .

كان يسمعها دون أن يقاطعها ولو مرة واحدة . سارا لحظات طويلة في صمت . وأحيانا كانا يتوقفان ثم يقوم "كلارك" بإطاحة الحصى فوق سطح الماء الهادئ للبحيرة .. فغرت "جايل" فمها إعجابا بمهارته . سألته فيما بعد :

- فيم تفكر؟

أخذ يتأملها بإمعان فترة طويلة قبل أن يرد:

- إنني أقول لنفسي : إنني عثرت على منافس لي في نفس مستواي.

- لست أفهم.

رأى الحيرة على وجهها فضحك ثم تمدد فوق الرمال وقال:

- حسناً! إن حديثك كان كاملا . وبعد هذا الاعتراف المؤثر فلن يلح عليك بعد ذلك سوى إنسان مجرد من المشاعر .. أليس كذلك؟ ومع ذلك فإنك لم تحاولي ولو مرة واحدة أن تصدقيني بل إنك ألمحت لي أن المرأة تقبل دائما أن تهب نفسها للرجل ودون وعي .. وبذلك خلصتني من كل مسؤولية . بل على العكس فإنك ركزت جدا على شعورك بالذنب مشيرة بذلك إلى وضعك إذا وصلت يوما ما إلى أهدافي . يالها من سياسة مثيرة للإعجاب ! وإني لأتساءل : هل أستطيع أن أحذو حذوك؟

ألقت "جايل" بنفسها على الرمال بجواره ثم نظرت إليه وهي دهشة. إذن هو لا يصدقها لا شك انه ظن انها تمثل عليه واجتاحتها فجأة

رغبة أن تلكمه في وجهه ولكنها تراجعت في الوقت المناسب. ثم الم تامل في اعماق نفسها أن يكون رد فعله هكذا؟ الم تسع عامدة إلى إثارته ؟ لقد بدت صريحة للغاية معه . والآن مهما حدث من امر- ايا كان- فإنه لن يستطيع أن يلقي بالمسؤولية عليها . ثم ماذا يمكنها أن تكون عليه ؟ إن ضميرها مستريح ، قالت له :

- شكرا على المجاملة . ولكن ما جدوى كل هذه المجهودات مادمت لا تصدقني؟

- على الأقل لم الق بنفسي عليك. كما أن علي أن اصحح خطة هجومي . والأمر أكبر مما توقعت.

كيف يمكن أن يكون واثقا بنفسه لهذه الدرجة ؟

يبدو انه مقتنع انها لن تقاومه وانه سينتهي بالحصول على النصر. فكرت وهي تشعر بالمهانة انه كان من الواجب عليها أن تلكمه في انفه ثم إنها ليست فكرة سيئة فعلا لانه يستحقها .

استانف حديثه وهو يهمس :

- والأمر ليس سيئا في اعماقه وساخذ كفايتي من الوقت وساستمتع بكل لحظة.

مال "كلارك" عليها واحست "جايل" في الحال وكان قلبها يوشك أن يقفز خارج صدرها .. في هذه اللحظة بالذات لابد أن تكون يقظة . لو استسلمت بسرعة فإنه سيعتبرها فريسة سهلة ولن تثير اهتمامه . والعكس لو اظهرت مقاومة ورفضا كبيرا لاعتبرها بلا معنى . قال معلقا وكانه قرا افكارها:

- إنها لحظة حاسمة في علاقتنا ويجب تجنب كل زيف حتى لا ينتهي بنا الأمر إلى الفشل حتى قبل أن نبدا.

أخذ ينظر إليها بنظراته المفعمة بالرغبة والحب ووجدت نفسها

على وشك أن تضعف وتخسر المعركة ولكنها قررت أن تكسبها ولن تتخلى عن هذا الهدف . قالت له بعد أن سيطرت تماما على نفسها بينما فقد هو كل سيطرته وثقته بنفسه :

- والآن وقد اصبحنا متعادلين لنعد إلى دورنا كراعيين لهؤلاء الأولاد.

بعد ذلك نهضت بسرعة وهي تحاول الا ترتجف وظل هو بلا حركة لا يعرف ماذا يقول . وعندما تحرك اخيرا كانت ابتسامة عريضة تضيء وجهه . قال مزمجرا وهو يضحك:

- انت شيطانة حقيقية يا "جايل" .. وكيف لي أن أقاومك؟

في طريق العودة سارا جنبا إلى جنب في صمت متشابكي الذراعين . تساءلت "جايل" : مع اي نوع من الرجال تتعامل ؟ إنها معه تنتقل من مفاجاة إلى اخرى ولا تعرف على أي قدم تقف.

فيما بعد عندما اندست في حقيبة نومها الكشفية وجدت صعوبة في أن تنعس .

وبينما هي تتامل السماء المغطاة بالنجوم أحست بالإثارة وبالتاثر الشديد من تلك المشاعر الجديدة.

وتساءلت: كيف ستعيش مع ذكريات هذا الهجوم الاول ؟ فما بالها بالهجوم الثاني المتوقع؟

الفصل الرابع

حاولت "جايل" ترتيب حقيبة ابنها بينما تعلقت ابنتها بسماعة التليفون ،، قالت وهي تزمجر حانقة:

- أسرعوا يا أولاد ! لقد تاخرنا . وانت يا "بيريني" هل تسمعيني ؟ لقد اخبرت جدك وجدتك ان ينتظرانا حوالي الثالثة والنصف . إذا لم نرحل بعد خمس دقائق بالضبط فلن نصل إلى هناك ابدا.

عندما اشارت إليها الابنة ان تنتظر دقيقة واحدة هددتها بقبضتها . ثم بدات في ترتيب ملابس "جيف" . همهمت وهي تتنهد:

- إنني لن انتهي من ذلك ابدا . إنها ليست حقيبة وإنما بالة حقيقية.. ثم إنه ليس لدي وقت لفرزها .

عندما اصبحت الامتعة جاهزة انطلقت "جايل" بحثا عن ابنها . لقد اختفى كالعادة عن الوجود في لحظة الرحيل . في يوم من الايام

ستنزع رقبته من جسده . ابتسمت عندما تذكرت التعليق الذي قاله "كلارك" ليلة امس في نهاية رحلة الايام الثلاثة الكشفية . كان قد راقبها في مرح وهي تضع الأولاد في صبر داخل السيارة.

كان قد اعترف وهو يهز رأسه:

- انت تدهشيني دائما . انت لا تثورين ابدا! متى تقررين قتلهم والتخلص منهم للأبد؟

كانت قد توقفت لتلقي عليه نظرة احتقار:

- اقتلهم ؟ انت تمزح ! كيف يمكنني ان افعل شيئا كهذا لأولاد صغار كلهم براءة ؟ ثم إنني لا انفذ عقابا علنيا . إنني افضل ان اتوقف في مكان بعيد ثم اخنقهم واحدا بعد الآخر. انفجر "كلارك" في الضحك. وبعد ذلك قادها بمصاحبة الأولاد إلى اهاليهم وقبل ان يفترقا اخيرا لم يقل لها كلمة ولا حركة حنان وعادت إلى بيتها وقلبها ثقيل وهي محبطة.

ولكنها من وقتها وهي لم تكف عن التفكير فيه.

كانت قد استيقظت وهي شعلة من النشاط والحماس.

لم تكن تعرف بالضبط متى تقابله مرة ثانية و مع ذلك في اعماقها كانت واثقة بامر واحد وهو انها ستراه في يوم ما وقريبا جدا ، واليوم وهي بعيدة عن قربه الذي يوترها احست بانها مستعدة لمواجهته وانتظرت في صبر ساعة الهجوم .

احست "جايل" بمن يشد بنطلونها وكان عليها أن تترك الماضي لتعود إلى الحاضر.همهمت وهي شاردة :

- مرحبا ايها الكلب ! ماذا تريد ايها الحيوان القذر؟

حاولت التخلص منه ولكن الحيوان لا يريد أن يفهم . جرته خلفها حتى الباب المطل على الحديقة.

كان "جيف" في الخارج يثرثر مع جيرانه رآه الكلب وعندما تركها فجاة اندفع نحو سيده .

أحست "جايل" بالارتياح وراقبته وهو يحوم حول ابنها ثم استقر نظرها فجاة على "جيف" وزجرته :

- هل فقدت عقلك أم ماذا ؟ من عشر دقائق كنت نظيفا كالطبق الصيني فما الذي وضعك في هذه الحالة ؟

كانت ركبتا الولد ويداه ملطخة بالطين وتقدم نحوها وهو بهذه الحالة . لا بد أن لديه عذرا مقبولا وجاهزا لشرح مسلكه . إنه لا ينقصه الخيال .. ولكنها اليوم ليس لديها من الوقت ما تضيعه . لقد تاخروا بالفعل . قاطعته في الحال :

- ليس الآن وستحدثني عن ذلك فيما بعد والآن اسرع بالاغتسال وسنرحل بعد دقيقتين بك او بدونك.

اختفى "جيف" دون أي اعتراض بينما انفجر جاره -الذي شهد الواقعة- في الضحك مما جذب انتباهها .

قالت وهي غاضبة:

- هيا اسكت يا من أنت هناك .. انت تعرف جيدا انك كلما تهكمت عليه زادت وقاحته .

انحنى جارها العجوز للأمام ووضع يديه على عصاه وأخذ يتامل وجه "جايل" باهتمام. بدات تعرف حيلته فلم يطرف لها رمش وهي تنظر في عينيه مباشرة وانتظرت في صبر ضربته . أخذت تفحصه

بدورها وقد تطايرت خصلات شعره الابيض هنا وهناك من تحت قبعته التي لا يخلعها ابدا وقد بدا بتجاعيده الكثيرة وجلده النحاسي صلبا كالصخرة. رد العجوز عليها بخشونة وهو لايزال يتفحصها :

- من قال لك: إنني اهزا بـ"جيف" ؟ ربما اهزا بك ؟ ولدي إحساس انك تخفين شيئا .. وهذا الوميض في عينيك هل يخدع أحدا ؟

تظاهرت بعدم الفهم:

- انتبه إلى ما تقوله .. وإذا استمررت في التهكم علي فإنني اخشى ان اقلد "جيف" وازداد وقاحة.

همهم الرجل وهو شارد :

- إنني أجدك صغيرة على الترمل.. لقد كنت - دائما وهذه حقيقة- بهجة بلدتنا الصغيرة . وتعرفين كيف تشيعين البهجة في حياة الشباب والعجائز . على حد سواء . ولكن هذه المرة هناك شيء ما جديد . أنت تدبرين مفاجاة لنا وانا احس ذلك . وحتى إذا رفضت ان تحدثيني عنها فإنني ساكتشف عاجلا او آجلا سرك ، وسترين .. إلى اللقاء قريبا ساعرف ماذا تخفين عنا .

ردت عليه معترضة وهي تحس بالقلق:

- لقد بدات تشيخ وتخرف يا "آد" وإذا كنت قد لاحظت انني تغيرت اليوم فإنني احس بالسعادة لانني ساقضي شهرا بمفردي بعيدا عن مسبب المشاكل الأبدية.

- اتعتقدين انك طويتني بهذه السهولة ؟ لن تستطيعي ذلك . وليست هذه اول مرة.

لم يتح للشابة الوقت للاحتجاج . صدرت صرخة من بيت "آد" قطعت

الحديث . زمجر العجوز:

- مرة ثانية تلك البلهاء التي تذكرني بالنظام لابد أن ساعة الدواء قد حانت . أنا واثق بانها تقضي النهار بجوار الساعة مستعدة لان تجعلني أبتلع أمر اقراصها الملعونة التي حان وقتها .

همهمت "جايل" وهي في دهشة:

- إنه يتحدث عن الدواء . إنني لم افهم شيئا.

منذ عشرين سنة وهي تعرف السيدة "رابورت" مديرة منزل "آد" ولم تفهم قط تصرفاتها.

إنها بلا طعم ولا لون ولا رائحة كما يقولون .. باهتة وهي تتكلم دائما بلهجة غير مفهومة ولا تعبر إلا بالتلميح مما يجعل حديثنا غير مفهوم على الإطلاق.

رد "آد" على استفسارها وهو يهز راسه.

- لست وحدك التي لم تفهمي .. كيف تفهمين أمثالها تلك اللعينة . سانخس جسدها المليء بالعظام ولكنها لن تتعلم وإن كان ذلك سيسري عني قليلا.

انفجرت "جايل" في الضحك ولكن "آد" كان قد ابتعد .

- أنت لست سوى خنزير عجوز يا "آد واطسون".

بعد ساعة وهي تقود سيارتها على الطريق المؤدي إلى مزرعة والديها كانت لاتزال تفكر في تعليق العجوز "آد" . هل حقا تغيرت؟

وهل هذا يسبب سعادتها امام فكرة انها ستخلو اخيرا إلى نفسها ؟ أم بسبب وجود "كلارك" فهو الذي جعل "آد" يستشف تغييرا حقيقيا في نظراتها؟

والحق يقال: إنها تحس فعلا بانها مختلفة . ولكن هل من الممكن أن يكون هذا اللقاء القصير مع "كلارك" له هذا التاثير الواضح؟

ولكن هل هو لقاء قصير حقا؟ إن الامسية عند البحيرة تعني اكثر من ذلك لقد خرجت من تلك الامسية وقد تحولت واحست بانها امراة بحق.

إن دورها كارملة وام ومدرسة لغة إنجليزية لم يعد يكفيها ثم تلك الحادثة بالقرب من الماء اكتشفت منها أن بداخلها أسرارا كانت دائما تجهل وجودها .

فيما بعد عندما لمحت بيت والديها ابعدت عن ذهنها تلك الأفكار الخيالية . إن "جايل" ليست من النساء اللاتي يعتقدن في قصص الخيال.

إن قدميها ثابتتان في الأرض والذي يعنيها هو المظهر العملي في الحياة ولذلك فإن تفكيرها في الأمير الساحر او "كلارك" هو الجنون بعينه.

أوقفت سيارتها في المدخل .عندما عبرت عتبة باب دار الأسرة لبست دور الابنة الوحيدة المحبوبة والمدللة والعزيزة الغالية ونسيت خلال ساعات كل متاعبها وهواجسها وكرست نفسها لوالديها كلية وفي لحظة الرحيل اثارت ابنتها دون توقع مشكلة علاقتها بـ"كلارك" .

اقتربت "بريني" من بداية السور وتاملت وجه امها بإمعان وحزن وسالتها:

- هل انت واثقة بانك لا تريدين البقاء؟

- لا تشغلي بالك بي يا "بريني" كل شيء سيكون على ما يرام . وأعدك ان اتصل بك مرة في الأسبوع .

- ولكن هذه أول مرة تقضين شهرا كاملا بمفردك. ألن تشعري بالملل؟

قالت وهي غير مقتنعة اقتناعا كاملا:

- أوه .. لا .. سأستفيد من غيابكما لتنظيف المنزل وأتدرب على راحتي وأتمتع بالسكون حولي.

كيف تقول لها : إنها لن تبقى بمفردها ؟ كيف تحدثها عن "كلارك" ؟ وكيف تبوح لها بانها تتحرق شوقا لرؤيته ؟ قالت بصوت رخيم:

- هيا يا "بريني"! إن "جيف" غير مهتم بمصيري فلماذا تفعلين انت ذلك؟

- لانه غبي وسافل!

راقبت ابنتها وهي فاغرة فمها:

- سافل ؟ هذه إحدى اكتشافاتك.. أليس كذلك؟ ولم لا ؟..

أرادت أن تطمئنها أكثر ولكن دون جدوى . لان "بريني" سارعت إلى جديها لتشاهد الخنزير الجديد الذي سيقدمانه لها . قالت "جايل في نفسها: " ها هي سرعان مانسيت."

ولكنها لم تلم "بريني" ولا "جيف" فهي تعلم جيدا أنهما يقضيان عطلة سنوية رائعة في الريف في مزرعة والديها وهي سعيدة من أجلهما.

ولكنها ماذا ستفعل بايامها ؟ لقد ذكرت ابنتها إنها فعلا المرة الأولى التي تقضي فيها شهرا باكمله بمفردها . وقد صممت على الاستفادة بكل لحظة من هذا الانفصال عنهما . ولكن لما لم تكن معتادة ذلك فقد أحست بانها ضائعة بعض الشيء . لم تعد مضطرة للقيام بدور الأم . لقد أصبحت فجاة "جايل فيشر" المراة . كيف استطاعت ان تتجاهل ذلك كل هذه الفترة؟

صاحت بصوت عال حتى تثبت هذه الحقيقة في ذهنها .

- انا امراة!

فكرت في الحال في "كلارك" وعادت إلى ذاكرتها ابتسامته ووجهه ونبرة صوته الغريبة.

إن لدى "كلارك" من النساء الكثيرات وحسب مجلات الإثارة فإنهن يرمين انفسهن عند قدميه ومغامراته تتتابع ولكنها لا تتشابه و"كلارك" لا يفعل شيئا لإنهاء الإشاعات التي تدور حول حياته الخاصة بل أحيانا ما يشجع انتشارها، إنه زير نساء كما يراه الجميع ومع ذلك عندما يضحك ضحكته الغريبة الغامضة تحس فجاة أنه يلعب بالحياة . وأن جرابه مليء بالألعاب إن له طريقته في اللعب مع الأطفال وفي مناقشتهم والضحك معهم . وتصرفاته ليست تصرفات زير نساء. فما لعبته ؟ إنها تعرف عنه انه يتهكم على الناس أجمعين ويجد في ذلك لذة ولو عرفوه فلا يهم إن كان ساحر النساء أم ساخرا لان ذلك لا يمنع من انه رجل ياسر القلوب .

بعد ذلك حاولت التركيز على الطريق . من الأفضل ان تعود سليمة ومعافاة وهي تنوي أن ترى في يوم ما ذلك العزيز"كلارك" .

بعد ساعة وهي في البيت أخذت تستمتع بالسكون حولها ولكن هدوءها لم يدم طويلا فإن الكلب لم يتاخر في الظهور . أخذ يزمجر وهو لا يكف عن التمسح في ساقيها . قالت موجهة الحديث للحيوان.

- اسمع يا "ميري" جيدا . من اكون إذن ؟ أنا أم "بريني" و"جيف" وأرملة "دان" وابنة سالي و"جون" .. ولا اعرف اكثر من هذا..

رفع الكلب نحوها عينين ناعستين وحدجها في ريبة ثم ذهب لينام

فوق وسادته .

ومن الواضح انه لا يشعر باي اهتمام باسئلتها .

تنفست "جايل" بعمق . إنها تحب طفليها بقوة وهذا حقيقي ولكن لأول مرة منذ زمن بعيد تحس اخيرا بالاسترخاء والحرية. إنها بالقطع تستطيع الاستمتاع بذلك الم تفعل ما يحلو لها دون ان تخشى "بريني" ولا "جيف"؟ والآن لم يبق إلا ان تعرف:

ماذا تفعل ؟ إلى اليوم لم يتح لها الوقت لتكرس جهدها لنفسها . . إن انشطة الطفلين ومباراة كرة القدم ودروس البيانو وعملها استغرقتها تماما . وادركت وهي مسرورة انها تستطيع في نفس الوقت الا تفعل شيئا على الإطلاق دون ان تشعر باي تانيب للضمير.

فجاة رن جرس باب الدخول وانتزعها من شرودها عندما فتحت الباب ظلت مشدوهة إذ رات "كلارك" واقفا امامها . وعيناه مثبتتان على شيء فوق راسها . القت نظرة سريعة على مظهرها قبل ان تتبع نظراته . قال لها معلقا:

- إن شعرك في حالة سيئة.

أحست "جايل" بالامتعاض وقالت بحدة وهي تتراجع للخلف بعيدا عنه :

- ماذا لو قلت لي : ما الهدف من زيارتك؟ افترض انك لم تات إلى هنا بالتاكيد لتهينني.

- بالتاكيد لم آت إلى ذلك.

دخل "كلارك" الحجرة واغلق الباب خلفه وتردد صوت إغلاق الترباس في سكون البيت الخالي ولم تستطع الشابة ان تمنع نفسها

من ان تفزع .

هذه اول مرة يكونان فيها بمفردهما تماما . عادة ما يكونان دائما محاطين بالآخرين . فماذا سيحدث ؟

- أعرف أن "بريني" و"جيف" رحلا عند والديك واردت ان اتاكد انك لا تحسين بالوحدة الشديدة .

ابتسم لها ابتسامة واسعة . ولكنها لم تامن من البريق في عينيه السوداوين .. لقد بدات تعرف هذا البريق جيدا وهو غير مطمئن على الإطلاق همست وهي تتراجع قليلا.

- وحيدة ؟ انت تمزح ؟ لقد مر دهر منذ انتظرت هذه اللحظة وقد اعددت قائمة طويلة بالأشياء التي ساعملها في اثناء غياب الطفلين و إنني اتساءل: هل ساحققها كاملة؟

في كل مرة تخطو للخلف خطوة يتقدم "كلارك" للأمام نفس الخطوة غير متيح لها الفرصة للابتعاد .

- قائمة طويلة .. بماذا؟

بماذا تجيب على هذا التحدي وعلى هذا السؤال المفعم بالتلميحات ؟ حاولت ان تضحك من سؤاله ولكن صوتها اختنق داخل حلقها .. قالت:

- لدي كومة من الكتب لابد من قراءتها وكمية من الأشياء لابد أن افعلها.

قال في دهشة وهو مستمر في الاقتراب منها:

- اه ، حسنا .. كمية من الأشياء؟

- ولكني ... نعم .. إصلاحات . وهذا الافريز فوق الباب على سبيل المثال . لابد أن..

صرخت "جايل" عندما اصطدم ظهرها بالجدار. لم تعد تستطيع التقهقر أكثر من ذلك . سكتت في الحال وبحثت عن وسيلة للهرب. ولكن "كلارك" كان أسرع منها حيث وضع ذراعيه على الجدار وهو يحاصرها كالسجينة . همس :

- لابد أن .. ماذا؟

- لابد أن أغيره وإذا لم أهتم به في الحال فقد يسقط على رؤوسنا .

- فهمت .. إنه مهم جدا . ولكن ما رأيك لو تناولنا العشاء معا؟ أولا لابد أن تستعيدي قواك قبل أن تنطلقي في عملية الإصلاح:

- في الحقيقة ليست لدي نية الخروج هذا المساء.

- ربما كانت هذه فكرة لا باس بها.

ولكن عقله نصحه بالا يتدخل إلا في شؤونه الخاصة . أما هي فقد وبخت نفسها بحزم وقالت: إن عليها أن تتماسك والا تستسلم لمشاعرها العاطفية التي قد تكون خادعة، ثم إن عليها أن تحافظ على مركزها في البلدة الصغيرة.

نظرت حولها في رعب وهي تحاول أن تجد لنفسها مخرجا ثم خطرت ببالها فكرة عندما رات الكلب نائما على وسادته صاحت:

- كف عما تفعله يا "كلارك" ! وإلا ناديت "ماري".

القى "كلارك" نظرة سريعة حوله ثم انفجر ضاحكا وهو يرى الحيوان الضئيل ممدداً فوق وسادته.

صاحت "جايل":

- اهجم يا "ميري"!

رغم نيتها القوية على إبعاد "كلارك" فإن صوتها الضعيف الواهن

رفض أن يستجيب لها . ومع ذلك سمع الكلب نداءها وجرى في الحال نحوها . اطلقت زفرة ارتياح طويلةوهي تراه يسرع لنجدتها وبدلا من التدخل فإن "ميري" تعلق ببنطلونها وظل يشده بكل قوته . رفعت عينيها إلى السماء وهي دهشة و يائسة . تهكم "كلارك" عليها:

- ياله من حيوان مفترس حقا !

ثم استدار وهو يبتسم نحو الكلب وصاح فيه بحزم:

- ارقد أيها الكلب!

لم يحتج إلى تكرار الأمر ، فقد ترك "ميري" فريسته وعاد في ذلة إلى وسادته . همهمت "جايل" في غيظ:

- أيها الخائن!

نظر إليها وهو واثق بنفسه . ولم لا يكون كذلك؟

إن كل شيء يخونها حتى كلبها وإذا لم تتدخل بطريقة جادة فإنها ستخسر دورها في اللعبة حتى قبل أن تبدأ . قال لها بقوة:

- حسنا وبعد ؟

- لا تغتر بنفسك فلا يزال في جعبتي المزيد من الحيل . وإن كان اليوم يعاندني الحظ فلست أدري ماذا ارتكبت حتى أستحق كل ما حدث لي؟

- أتحبين أن أبتعد عن المنزل وأتركك في وحدتك؟

اخذ قلبها يدق داخل صدرها بقوة ولكنها رفعت راسها عاليا في تصميم وقالت:

- أتريد مني أن أترك اللعبة ؟ لاباس.. إنني لست غبية.

قال "كلارك" هامسا في حنان:

- لا تفكري بعد الآن في اللعبة يا "جايل". ولكن خبريني بجد الا تشعرين بالراحة معي؟

ارتجفت "جايل" وبدا راسها يدور واحست بالنار تسري في جسدها. إنها حتى الآن لا تدري إن كان يمزح أم هو جاد في حديثه.

سمعت طرقات على باب المدخل ايقظتها من احلامها واضطرت ان تستند على الجدار حتى لا تنهار فوق الأرض تماما. فتحت عينيها ونظرت إليه وهي مبهوتة ثم علت شفتيها ابتسامة باهتة.

- لدي إحساس اننا أسانا تقدير الوقت واوشكنا ان نندفع وراء مشاعرنا واوهامنا.

استرد "كلارك" هدوءه بصعوبة وضحكت "جايل" عندما رات هذا العملاق يرتجف .. يا إلهي ! لقد كان واثقا بنفسة جدا ! إنه يستحق حقا أن يتلقى دروسا في الأدب والإصلاح. ودت لو تلزمه حده وتريه مقامه لولا أن الضربات على الباب تزايدت بشكل ملح ومزعج. ابتعدت عن حصاره في الحال واتجهت إلى الباب. وقبل أن تفتحه حاولت ان تستعيد سيطرتها على نفسها.

صاحت وهي توارب الباب:

- إنه انت يا "جودي"!

لم يكن وصولها في اللحظة المناسبة لو لمحت "جودي" وجود "كلارك" فإنها لن تتردد في إطلاق جرس الإنذار باعتبارها من هواة الثرثرة.

و لكن جهودها باءت بالفشل، توغلت زوجة "هاريسون" دون استئذان داخل الشقة وهي تقول:

- مساء الخير يا "جايل". لقد أردت فقط أن اقول لك...

ثم صاحت عندما شاهدت بطل كرة القدم وحدجت صديقتها بجانب

عينها بنظرة ماكرة:

- أوه ! "كلارك" ! يالها من مفاجاة سارة ! انا كنت أعرف أن الأمر سينتهي بك إلى الاستماع إلى كلامنا .. وبفضلنا...

قاطعتها "جايل" بلهجة يشوبها الضيق والضجر:

- خبريني يا "جودي" ما الأمر المهم الذي تريدين أن تقوليه لي؟

قالت الشابة زوجة مدير المدرسة وهي تتذكر الغرض من زيارتها:

- لقد جاءت الفرصة في وقتها. لقد قرر "هاريسون" في آخر دقيقة تنظيم ليلة شواء ساحرة وقد جئت بالضبط كي ادعوك للانضمام إلينا. تعاليا معا وسيسعد كل الناس عندما ...

- هذا مستحيل!

لحقها "كلارك":

- لاننا سنخرج ؟

كانا يتحدثان في وقت واحد وسكتا في وقت واحد. فجاة تاملها لحظة وقد التمعت عيناه من السرور ثم التفت إلى "جودي" وقال:

- هذا لطيف أن تفكرا فينا ولكننا قررنا أن نقضي السهرة معا.

اعلنت "جودي" دون أن تثبط همتها:

- إذن سيكون ذلك في وقت آخر .. اذهبي يا "جايل" للاستعداد وساهتم بـ"كلارك".

لم تضع الشابة الفرصة وانطلقت في مدح مزايا صديقتها. ولكن "جايل" قاطعتها في الحال وسحبتها بقوة من ذراعها نحو حجرتها:

- تعالي يا "جودي" انا في حاجة إليك.

احتجت الشابة الأخرى وهي تغلق الباب وراءها:

- ولكن ماذا الم بك ؟ إنك طوال عمرك ترتدين ملابسك دون حاجة لي أو لأحد.

تدخلت "جايل" في ثرثرتها التي لا تنتهي:

- أعرف ! كل ما هنالك أنني لا أريد أن أسمعك بعد الآن تحدثيني عن "كلارك" أو تحدثينه عني . لست معروضة للبيع على ما أظن!

اقتربت من دولاب ملابسها وأخذت تفحص في امتعاض ملابسها التي داخله. قالت "جودي":

- إنني لا أحاول أن أبيعك وبالأخص مع "كلارك" إنه مختلف جدا..

قاطعتها وهي تبتسم لها من فوق كتفها:

- أعرف :

تابعت "جودي" دون أن تعير كلام صديقتها أي انتباه:

- ثم إنه مليح جدا وإنني أتساءل: لماذا تصرين في عناد على أخذ الموضوع بخفة . انظري قليلا ليس في دولابك ما ترتدينه وقد حان الوقت أن تهتمي بنفسك .. وبملابسك.

اكتشفت "جايل" أخيرا ثوبا من الفراء الحريري بلون سماوي في ركن دولابها . سألت صديقتها وهي تشير إلى الثوب المقصود:

- ما رأيك؟

- إنه رائع! جربيه إذن ! آخر مرة لبسته فيها كان قبل وفاة "دان" بقليل.. إنه يناسبك جدا.

- نعم ولكني سمنت كثيرا من وقتها . أتعشم أن أتمكن - على أية حال - من ارتدائه.

خلعت ملابسها بسرعة واندست داخل الثوب الفرو الأزرق الحريري. وعندما أصبحت مستعدة التفتت لصديقتها وهي تبحث في عينيها عن إجابة سؤال يحيرها : هل توافقها أم توبخها على الثوب؟

وقفت "جودي" تنظر إليها وقد فغرت فمها دهشة:

- هكذا الأمر! إنني لم أعد أستطيع التعرف عليك .

- ولكن لا تنظري إلي مبهوتة هكذا وكأنك ترين شبحا ثم إنني لم أتغير إلى هذه الدرجة!

اقتربت "جايل" من المرآة الخاصة بالتسريحة وأصيبت بهلع وهي ترى صورتها المنعكسة عليها وفهمت في الحال سبب حماس ودهشة صديقتها لقد كانت القماشة الفرو الحريرية تبرز كل تقاسيم جسدها وتزيد جمالها أكثر من أي وقت مضى. فكرت في نفسها وهي تكتشف فتحة الصدر الواسعة: " يا إلهي! بعد ما كان سيحدث من لحظات من الأفضل أن أختفي تماما تحت رداء الراهبة " . ولكنها سرعان ما تخلت عن فكرة التمويه في شكلها .ثم لماذا تسهل عليه الأمر فالكرة في ملعبها الآن.

وجاء وقتها لأن تعذبه وأن تجعله يفقد عقله .

ابتسمت ابتسامة وضاءة من السعادة وهي تقول :

- إن ساحة المعركة أصبحت لنا يا "كلارك" !

انتزعها صوت "جودي" الهامس من أفكارها فجأة وقد برق وميض المكر في عينيها ..ربما خمنت خططها:

- هيا إلى هناك وهاجمي ! إن الرجال يحبون ذلك!

انفجرت "جايل" ضاحكة أمام مظهر الانتصار لصديقتها:

- إنني لن أعود عن قراري..

عندما هدأت أخيرا تزينت بسرعة ثم تمالكت نفسها وصحبت "جودي" حتى الباب كان "كلارك" في انتظارها .. التهمها بعينيه!

الفصل الخامس

اقترب "كلارك" في رقة من "جايل" وهي تستديرنحوه . حاول ألا يبتسم عندما فزعت بعد أن وجدته فجاة بالقرب منها . تاملها في بطء دون أن يقول كلمة . فحصها من أعلى رأسها إلى أخمصي قدميها . كان شعرها الذهبي الطويل يتماوج وهو ينسدل على كتفيها بينما ضم حرير ثوبها الأنيق جسدها وأبرز مفاتنها بشكل ساحر . بينما ربطت شالا حول رقبتها بطريقة غجرية متوحشة والقت طرفيه على كتفيها مما جذب انتباه "كلارك" في الحال وأخذ يتساءل: ما الذي تخفينه وراء هذا الشال؟

- مرحبا أيتها السيدة الجميلة! يالها من مفاجاة!

أحست بغصة في حلقها وتراجعت قليلا عندما تقدم نحوها وقالت بحدة وبنبرة مترددة:

- مرحبا يا رأس البغل!

ثم أرادت أن تتجه نحو الباب . ولكن "كلارك" منعها وهو يمسكها من ذراعها وأدارها نحوه . همس في أذنها:

- هل تنوين الخروج فعلا؟

تلعثمت وهي تقول بصوت ضعيف:

- من ؟ أنا ؟ لقد اعتقدت أننا سنخرج أم أنك نسيت هكذا بسرعة ؟

دهش "كلارك" وحدجها بنظرة متسائلة:

- إذن أنت تقبلين حقا أن تصحبيني هذا المساء؟

لم تكن "جايل" تتوقع أن تاخذه على غفلة وأحست فجاة بالاسترخاء . قالت وعيناها تومضان مكرا:

- ومع ذلك فقد شرحت لك ذلك من قبل. لا تنس أن "جودي" على علم بخروجنا معا . كم في رأيك عدد الناس الذين ينتظرون -بنفاد صبر- اللحظة التي سنخرج فيها من المنزل معا؟

ترك "كلارك" ذراعها في الحال وكأنه أحس بلسعة نار فيها ألقى نظرة عصبية حوله وهو يشعر بالتوجس وعدم الاطمئنان . لقد أحس فجاة وكأن كل أصدقائه أو بمعنى أصح كل البلدةيتلصصون على كل حركاتهما . التفت نحو "جايل" وسألها وقد بدا عليه القلق:

- أنت تمزحين على ما أظن؟

لم تستطع أن تمنع نفسها من الانفجار في الضحك وهو يفحص بسرعة كل النوافذ في الحجرة:

- إذن هل تتخلى عن الخروج أيها العجوز؟

فهم إذن أنها تجد لذة في أن تضعه في حالة عدم ارتياح . ترك في الحال مخاوفه واندفع نحوها ثم ركز عينيه على عينيها وقال:

- أسف أن أخيب ظنك يا حلوة لانني لا أستسلم بسهولة.

أخذ يتاملها وقتا طويلا ثم تمالك نفسه وابتسم لها ابتسامة عريضة وقال :

- أنا واثق بانك فعلت ذلك عن عمد . وكان من الواجب علي أن أخشى ذلك ومع ذلك فانت لا تكفين عن تذكيري أن كل البلدة ربما تكون موجودة الآن هنا لمراقبتنا . أما أنت فلا تحسبين لذلك أي حساب!

سكت لأن اضطرابه منعه من مواصلة الحديث.

كان قلبه يدق في جنون ولم يكن قلبه هو الوحيد الذي مر بهذه الحالة. فرغم ما بدا على "جايل" من براءة إلا أنها كانت تشعر أيضا بالاضطراب .

ارتجفت "جايل" قليلا وحاولت أن تظل رزينة ،وبعد فترة طويلة من السكون رفعت عينيها نحوه:

- هل تنوي أن تحاصرني في كل البيت؟

تنفس "كلارك" بصعوبة ثم قال فجاة:

- كلمة أخرى منك يا "جايل فيشر" وأنا مستعد لأن افعل اي شيء وستكون الحياة والموت عندي سيان وياله من موت ...!

لم يتح لها الوقت لترد وفتح الباب ثم أمسك بيدها وسحبها نحو السيارة.

قاد السيارة في الطريق في صمت ولم يقف أمام اي مطعم من مطاعم "برادل" وعند مخرج البلدة انطلق في الطريق السريع نحو "دلاس".

راقبته الشابة بركن عينيها وهي دهشة.

ثم سالته بطريقة تقصد بها إغاظته:

- هل لديك نية أن تختطفني مثلا؟

قال "كلارك" بابتسامة عريضة:

- لا .. ما لم تصري على ذلك .. ولكنك لست مستعدة بعد وهناك أمور كثيرة لابد أن تتمرني عليها وكبداية ساجعلك تكتشفين مباهج الحياة الحقيقية.

احتجت عليه بقوة:

- هل تظنني ساذجة ؟ أتعتقد حقا انني لا أعرفها؟

- ربما قليلا .. وانت ترينها دائما خلال ولديك وجيرانك بالتاكيد ولكن ليس من خلالك . إنني أحب ولو مرة واحدة أن تتمتعي من أجل نفسك دون التفكير في الآخرين .. إلا في نفسك يا "جايل فيشر". في "برادل" كل الناس يعتبرونك أرملة "دان" وأم طفليك "بريني" و"جيف" وانت لا تجرئين على تخطي الحدود التي فرضها عليك محيطك.

هزت "جايل" راسها في بطء أمام كلماته هذه .

- أرى انك لم تتاخر في أن تكون رايا عني وعن أصدقائي وأخشى أن تكون فكرتك غير صحيحة بعض الشيء . وعلى عكس ما تظن فإنهم لا يريدون سوى الخير لي .

قال "كلارك" معترفا:

- نعم أعرف ذلك . ولكنهم لا يسالونك عن رايك إنهم يعرفونك جيدا ومن وقت طويل حتى إنهم واثقون بانهم يستطيعون التقرير بدلا منك. إنهم يحبونك كثيرا وكلهم على استعداد أن يفعلوا اي شيء ليروك سعيدة . ولكن ماذا عنك انت ؟ هل انت ايضا مستعدة لكل شيء؟

أن تتخلي عن دورك ؟ هل أنت على استعداد لتحطيم القمقم لتخرجي إلى الحرية؟

حاولت مقاطعته ، ولكنه منعها من ذلك:

- أنت تعتبرين بالتاكيد انني واثق بنفسي بعض الشيء بافكاري . وربما لم يكن ذلك بالأمر الخطير . إن كل ما أطلبه منك هو أن تمنحيني الفرصة . لا تتقوقعي وتنكمشي على نفسك ودعيني أتصرف ... اتفقنا هذا المساء أنا متمسك أن أريك عالما آخر فيه الالتزامات الغيت والمباهج فيها هي كل شيء.

لم تقل "جايل" شيئا . لقد اعتبرته على حق في نقطة : وهو انه واثق جدا بارائه . أما بالنسبة للباقي فهي شيء آخر . كيف يمكنه أن يدعي أنه يعرف حياتها بينما هو بصعوبة قد تعرف عليها . ولكن لا أهمية لذلك ! هذا المساء هي تحس أنها على استعداد لأن تتبعه. إنه يريد منها أن تدخل عالمه المختلف جدا عن عالمها .. ولم لا ؟ إنها لن تموت بسبب ذلك. إنها تعرف جيدا أنه سيكون من المستحيل أن تدخل ذلك العالم الغريب عنها عند عودة الطفلين واستئناف الدراسة . ولكن حاليا لا يوجد من يمنعها من خوض هذه التجربة الجديدة.

ابتسمت في صمت وهي تشجع نفسها على أنه لا ضرر هناك في رؤية افكار جديدة.

أوقف "كلارك" سيارته في ساحة الانتظار بشارع "جرين فيل" والخاص بمطعم صغير لم يسبق لـ"جايل" أن ترددت على هذا المبنى . ولكنها قرأت في مختلف المجلات مقالات عنه .

كان أصحاب المطعم قد أرادوا تقليد بعض المواقع المشهورة في

"نيويورك" وحققوا ذلك . وسرعان ما أصبح المطعم محط انظار المنطقة.

شاهدت وهي مبهورة في الداخل الديكور الفخم والقاعات الصغيرة ذوات الأنوار الخفية والموائد المكسوة باللونين الذهبي والأبيض والسجاجيد ذوات الألوان المتموجة والمتنوعة والنجف ذوات الأنوار المتلألئة وكانها في إحدى قصص الخيال والجن أو في إحدى روايات "سكون فيتزجيرالد" الكاتب الأمريكي الشهير. أحست فجاة بانها مختلفة وهي محاطة بكل هذه الحرارة والفخامة بينما يقوم "كلارك" بطلب الطعام أخذت تتطلع طويلا إلى وجهه . إنه يبدو على راحته في جميع الظروف وتساءلت مرة أخرى عن أصوله ووسطه. الاجتماعي وأسرته . ومن أين أتى ؟

لقد كان كل شيء حوله من أشخاص وأشياء يطيعونه ويخضعون لسحره . وعندما انتهى من قراءة قائمة الطعام أرادت أن ترضي فضولها فسألته:

- منذ متى وانت تعرف "هاريسون" ؟ لقد أخبرتني في يوم ما أنك مدين له بالكثير . ولما كانت هذه أول زيارة لك لـ"برادل" فإنني ظننت أن الحكاية قديمة.

وافقها وهو ساهم :

- نعم حكاية قديمة . في الحقيقة لقد التقيت بـ"هاريسون" في "بروكلين".

تلعثمت وهي دهشة:

- "بروكلين"؟ ومع ذلك لقد اعتقدت أنه لم يعد إلى هناك منذ انتهاء دراسته .

- هذا صحيح .. لقد مرعلى ذلك عشرون عاما .

لقد ولدنا -انا وهو- في "بروكلين" وهناك تربينا وكبرنا .. وهناك أيضا تعارفنا.

ظلت الشابة مبهوتة . لم تدهش عندما عرفت ان أصل "هاريسون" من"بروكلين" فقد كانت تشك في ذلك . ولكنها لم تتوقع هذا الاكتشاف من ناحية "كلارك" إنه لا يتكلم ابدا بلكنة اهالي حي "بروكلين" . قال "كلارك" وهو ينتزعها من افكارها :

- اتدرين ان والده كان مدربا في مدرسة؟

- لا . في الحقيقة انا صديقة لـ"جودي" اكثر من "هاريسون" ولا اعرف عنه سوى القليل من الأمور .. هل بسبب والد "هاريسون" ارتبطت به؟

تجهم وهو يحاول أن يبتسم:

- على نحو مشابه . لنقل: إني كنت شابا ولم اكن اخلو من المشاكل.

- حسنا .. اي نوع من .. ارجو المعذرة .. لم يكن من الواجب ان اتدخل فيما لا يعنيني.

ندمت لأنها طرحت عليه هذه الأسئلة الكثيرة. خفضت عينيها في خجل وصمتت.

همس "كلارك" وهو يضع يده على يدها :

- اعرف .. ولكن لدي رغبة ان احدثك عنها. من الغريب انني في كل مرة افكر فيها في "هاريسون" احس بالإثارة والتعاطف . ومع ذلك لم يكن الحال هكذا في البداية . وقتها لم اكن اعرف سوى الكراهية يا "جايل" . لقد كنت اكره الناس اجمعين وبصفة خاصة والدي.

ضحك ضحكة باردة كالثلج قبل ان يواصل .

- ولم افهم إلا فيما بعد انني لم اكن اكره أحدا:

اضطربت وضغطت على يده بقوة:

- احب ان تحدثني عن ذلك لو شئت؟

همس في حنان :

- معك يمكنني مواجهة اي شيء حتى الماضي. لقد كنت في السادسة عندما هجرتنا امي في يوم ما . لقد تركتني دون كلمة واحدة وحيدا مع ابي الذي لم يكن حنونا بالمعنى الصحيح. ثم لماذا انكر ذلك؟ لقد أساء معاملتي.

تقطعت انفاس الشابة امام هذا الاعتراف بينما ظل "كلارك" دون تعبير وهو يقص وكانه يقرأ احداثا عادية في الجريدة . ومع ذلك عندما سالته - بعينيها الواسعتين الدهشتين في صمت - سارع بطمأنتها قائلا وهو يبتسم ويهز كتفيه :

- هيا لا داعي لهذه الدهشة! لقد كان ذلك من وقت طويل جدا... ثم إن الأمر لا يهزني أو يهزني قليلا جدا في بعض الأحيان. لقد حطمني ذلك بصفة خاصة اخلاقيا. واحيانا كنت مقتنعا انه كان يكرهني . ولكن في الحقيقة التي اتضحت لي فيما بعد انه كان يكره نفسه اكثر من الدنيا واعتقد انه كان يرى في عيوبه الخاصة فلم يكن يتحمل وجودي . لقد رغب في ان يلغي وجودي لأنني كنت الدليل الدامغ على فشله . و لذلك كان يكرر انني لا اساوي شيئا وانني عاجز كنوع من الانتقام مني أو عقابي.

زفر زفرة طويلة قبل أن يكمل حديثه:

- وانا من ناحيتي لم اعرف قط لماذا كان يعاملني بهذه القسوة؟ لقد

ظننت انني مذنب بسبب رحيل امي ومذنب في كل شيء.

أحست "جايل" فجاة بثورة الغضب تجتاحها وكان عليها ان تتمالك نفسها حتى لا تدع ثورة غضبها تنفجر . تساءلت: كيف يمكن تعذيب طفل بهذه الدرجة ومطاردته باللوم وخنق براءته ؟.

كانت تحس بغصة في حلقها واضحت عيناها مبللتين بالدموع استدارت نحو البيانو الموجود في ركن القاعة. ساعد اللحن الرقيق- الذي كان يعزفه الفنان- في تهدئة الامها شيئا فشيئا فزعت قليلا عندما قرر "كلارك" ان يستانف حكايته:

- ولكن الوضع رغم صعوبته لم ينجح في ان يجعلني اصمت . بل بالعكس أصبحت مصدرا للمتاعب . حسنا .. لقد كنت في الفصل لا أطاق لدرجة ان المدرسين لم يعودوا يتحملوني بعد ذلك وبعدها بدات افشل في الدراسة وانتقلت بين العديد من دور رعاية الأحداث .

قالت "جايل" ساخطة:

- ببساطة لانك كنت تتغيب عن الدروس كثيرا ؟

أعتقد انك لتدخل دور رعاية الأحداث لابد أن ترتكب جرما كبيرا .

- في الحقيقة ذلك يعتمد على قرار الوالدين . فوالدي كان سعيدا بالتخلص مني ولم يتردد في إعطائهم الموافقة . ثم إن ذلك لم يكن سيئا بالنسبة لي فقد كان درسا مفيدا لي ! ولذلك اضطررت إلى دخول المدارس الدينية المنتظمة حتى لا ادخل تلك الدور التي تشبه السجون . ولكني كنت دائما اظهر لاساتذتي عدم رضائي وغضبي .

أمام كلماته ظهر بريق غريب في عينيه الداكنتين. حاولت الشابة وهي قلقة أن تركز على الحديث حتى تمنع ذهنها من الشرود وكتمان

العاطفة التي أخذت تنمو شيئا فشيئا داخلها وهي التي ستجعلها مختلفة عن نفسها للأبد وتصبح قريبة منه . استمروهو يبتسم وقد بدا عليه الشرود:

- قابلت "هاريسون" في المدرسة العليا وكنت حانقا عليه لأن والده كان مدرب فريق الكرة .. لقد كنت أحتقر كل الأولاد الذين هم قرة عين أبائهم وأصبحت قاسيا معهم . وقد فهمت فيما بعد أنني كنت غيورا من استقرارهم وبهجة حياتهم ومعيشتهم الهادئة والمرتبة . ومع ذلك قرر "هاريسون" أن يصبح صديقي . لقد تساءلت ولازلت عن السبب . لم أكن أريد صداقته ولا صداقة اي شخص أخر .. ولم أكف عن السخرية منه وإذلاله وتعذيبه . ولكنه دائما يعود إلي وهو الذي دفعني في يوم ما إلى لعب كرة القدم بل إنه تحدث في ذلك مع والده حتى يقبل العناية بي وهكذا ابتدأ كل شيء . وقد أدركت فيما بعد أنني في الحقيقة لم أكن أكره أحدا سوى نفسي وفهمت أنني أصبت نفسي بالضرر الشديد.

سكت "كلارك" فجاة ونظر إليها في رعب وكانه استيقظ من كابوس ثم استانف الحديث بعد ذلك:

- لقد مر وقت طويل لم اتحدث فيه مع أحد هكذا عن ماضي . وأنا الذي أردت أن أبهرك بمزاياي العديدة . ولكن مع كل ما قلته أخشى أن ..

قالت له تطمئنه بابتسامة خفيفة:

- لقد تاثرت يا "كلارك" جدا وصدقني..

ظهر النادل فجاة أمامهما ليقدم المشهيات وشيئا فشيئا سادت السكينة . أخذا يتناولان وجبتهما في صمت تحيط بهما الألحان الجميلة والأغنية الشجية للمطربة بمصاحبة البيانو. همست في أذن

"كلارك" وهي تنحني عبر المائدة :

- إنها رائعة!

- أعرف . ثم إنني أخذت هذا المكان بالذات لأنها تغني فيه من حين لآخر . لقد سمعتها لأول مرة في "نيويورك" وخلال تلك الأمسية غنت معظم أغاني "إبرفنج برلين" حتى إنني أحسست بالاضطراب .

- هل تحب " ابرفنج برلين" كثيرا ؟

قال بحماس وإثارة:

- إنني أعشقه . إنه بالنسبة لي هو أكثر المغنين الأمريكيين تميزا رغم أصله الروسي ، ولابد أن أعترف أنني أحب بلدي لدرجة التميز وكل ما هو أمريكي واعتقد أن تمسكي بهذه الآراء يجعلني أعجوبة هذا الزمان .

- أعجوبة ؟ هل تمزح ؟ أنت بالنسبة لعصرك متمرد!

- ربما .. في كل مرة يعزفون فيها السلام الوطني تبلل الدموع عيني.. هل تتصورين هذا ؟

أرادت "جايل" أن تعاكسه في البداية . ثم تراجعت . فبعد كل ما اعترف به لها كيف تواتيها الرغبة في الضحك من صدقه؟ ليس لديها رغبة في الضحك.

- أنا كذلك ؟ والأسوأ من ذلك أنني لا أستطيع أن أمنع نفسي من النشيج.

ولكن هذه المرة لم تبك . بل ابتسمت له في فخر لأنها تشاركه عواطفها . ثم فجأة قهقها معاً دون أن يعرفا السبب . فكرت كم هو رائع أن تكون بجواره! كانت "جايل" متأثرة من ضحكه ومن يده الممسكة

بيدها وأن يستمعا معا إلى الألحان الرقيقة .

إن وجود "كلارك" يغمرها بالسعادة . لقد مر وقت طويل جدا لم تحس فيه بمثل هذه السعادة.

بعد العشاء صحب "كلارك" "جايل" إلى ملهى " ديسكو" . أتت الشابة بحركة تراجع وهي تدخل هذا العالم غير المعروف المحاط بالدخان والضجيج ولكنها لم تتردد كثيرا لأن "كلارك" جذبها في الحال نحو حلبة الرقص.. وكيف يمكنها أن تهرب منه ؟ ثم هل لديها فعلا رغبة في الهروب . تركت نفسها للرقصة وجعلته يقودها كالطفلة.

كل شيء كان جديدا بالنسبة لها في هذا العالم. ظلا يرقصان ساعات طويلة غير مبالين بالدنيا حولهما وقد غمرتهما السعادة ونسيا إحساسهما بالزمان والمكان . وعندما خرجا من الحلبة أخيرا قادها "كلارك" إلى مقهى "أيرلندي" وسرعان ما انضما إلى معتادي التردد عليه وجلسا معهم على مائدتهم ليحتسيا المشروبات "الأيرلندية" الشهيرة ويتناقشا حول موسيقى الجاز وسباقات الخيل وأحلام "أيرلندا".

عندما تركا أخيرا المقهى وأصدقاءهم الجدد . كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحا . لم تحس "جايل" باي تعب على الإطلاق وهي جالسة مسترخية بجوار "كلارك" وأخذت تغني لحنا قديما وهي تتمنى في أعماقها الا تنتهي تلك الليلة . قال "كلارك" معلقا وكأنه قرأ أفكارها:

- ليست لدي رغبة في العودة !

ضحكت ضحكة مكتومة من الانفعال:

- وأنا كذلك . ولكني لا أجرؤ على الحديث في ذلك .

كانا -وهما يثرثران- يسيران بالسيارة بمحاذاة منتزه ضعيف الضوء ومجهز هنا وهناك بالعاب للأطفال . أوقف سيارته بجوار الرصيف ثم نظر كل منهما نحو الآخر وعيونهما تلمع مكرا . جريا متشابكي الأيدي نحو الأرجوحات وبعد دقائق كانا يتارجحان نحو السماء المرصعة بالنجوم . صاحت "جايل" وهي تصعد بالأرجوحة أعلى فأعلى :

- إذن أيها العجوز هل تنام أم ماذا ؟

- أنت تبحثين عن المتاعب ! وأرى أنك - عن عمد أو عن غير عمد - تبحثين عن التحدي ضدي . وقد حان الوقت لتعرفي أنني لن أتجاهل هذا .

-ربما عن عمد نعم ولكن عن غير عمد فلا أو أفقك.

- لقد تأكدت يا "جايل" في يوم ما أنني لن أصل أبدا إلى إغوائك.

قالت شارحة وهي تمسك بسلاسل الأرجوحة بقوة:

- إن هذا ليس تحديا وإنما تقرير لواقع . أريد فقط أن أحذرك في الحقيقة إذا وصلت في يوم من الأيام إلى تحقيق ذلك فإن ذلك سيكون لأنني أخيرا تركتك تفتنني .. ولكن ...

ترددت وهي تحس بعمق نظراته عليها :

- ولكنك أخذت مثلا سيئا . أعطني مثلا آخر يكون أكثر إقناعا .

- مثلا آخر ... طريقتك في الحياة داخل نفسك هي تحد . لقد كشفت لي عن دورك كأم وأستاذة وصديقة أيضا . ولكن حتى الآن لم ألمح بين كل تلك المرآة التي تختفي داخلك . وأحيانا أتساءل : هل أنت نفسك تعرفينها ؟ .. من إذن "جايل" عندما لايوجد أحد حولك ليملي عليك

دورك؟

أزعجها سؤاله وأحست فجأة بأنها غير واثقة بنفسها وقلقة لدرجة رهيبة . لم يكن من عاداتها أن تضع هويتها موضع السؤال ومنذ لقائها مع "كلارك" سألت نفسها هذا السؤال أكثر من مرة .

فكرت في قلق: من تكون هي ؟ وعندما رأى "كلارك" تشوشها انتزعها في الحال من أفكارها.

- انسي ما قلته لك في التو . هل هذا ممكن؟ فساكتشف الأمر بنفسي يوما ما وربما عملت أنت نفسك على أن أعرفك.

قفز فجأة من فوق الأرجوحة وأمسك بيدها آخذا إياها إلى لعبة الميزان . أحست في البداية بالخجل ثم بمزيد من الحماس ارتفعت إلى السماء وهي تقبض بكل قوتها على العمود حتى لا تسقط.

ثم حاولا بعد ذلك اللعب على المزلقة التي تتلوى على شكل أمواج إلا أن اللعبة أصابتها بالدوار.

نسيت "جايل" مخاوفها بسرعة وأضاءت ابتسامة عريضة وجهها كانت تضحك غير عابئة بأي شيء سوى سعادتها ولم يستطع "كلارك" أن يرفع عينيه عنها ولا عن ضحكاتها . هناك شيء ما فيها يجذبه نحوها ولا يستطيع منه الفكاك.

منذ اليوم الأول للقائهما كانت قد نسجت حجابا رقيقا حول قلبه : ناعما وقويا في آن واحد . وتركها تضعه دون اعتراض وكانت كل ضحكة من ضحكاتها أو حركة من حركاتها تزيد التفاف الحجاب وقوته.

لابد أن يكتشف المرأة المختفية داخلها . ولابد أن يجعلها تفهم أنه لم يعد يلعب وأن علاقة جادة ولدت بينهما . ولكن "كلارك" كان يعلم مقدما أن مهمته لن تكون سهلة . وفي الوقت الحالي كانت راضية بقضاء لحظة سعيدة معه كما وعدها . ولكنه أحس أنها لم تكشف بعد كل ما بداخلها وأنها لم تعد مستعدة إلى أن تعترف له بكل شيء في حياتها .. ليس الآن.

وأخيرا بعد أن أوقف سيارته أمام البيت كان الشارع يغمره الظلام والسكون . سألها:

- ما رأيك في عالمي؟

مالت "جايل" برأسها على مسند مقعدها ثم التفتت قليلا نحوه.

- لقد كان رائعا يا "كلارك" .. إنه مثل مدينة "ديزني" بالنسبة للكبار.

ردد كلامها وهو ساهم.

- مدينة "ديزني" .. إذا كنت فهمت قصدك فإن عالمي يشبه الحلم ... شيء غير حقيقي.

- نعم عالم سحري . نعم وهذا بالضبط ما يلزمني بالنسبة لأول يوم لي في العطلة السنوية وأشكرك ولكنه ...

-ولكن؟

ابتسمت ابتسامة غريبة وغامضة:

- ولكن فور عودة الطفلين لن أستطيع أن أسمح لنفسي أن أرتكب أعمالا طائشة ومجنونة وستستعيد حياتي مجراها الطبيعي .. وستظل هذه الأمسية محفورة في ذهني.

أحس "كلارك" بوخز في قلبه أمام هذه الكلمات . إن هذه الأمسية

التي قضياها معا ستصبح بسرعة ذكرى طيبة بالنسبة لها وله . إنها لم تقلها صراحة بل إنها لم تشك في ذلك . ولكنه هو الذي أحسها في الحال وقرر أن يصارع حتى النهاية قبل أن يتخلى عنها .

بينما كان "كلارك" غارقا في أفكاره راقبته "جايل" في صمت تساءلت: ما الذي يجري في رأسه ؟ ولماذا هذا التعبير على وجهه الذي أصبح هكذا متوترا ؟

في تلك اللحظة بالذات التفت نحوها وكأنه سمع تساؤلها وقرأ في عينيها أنها لا تود الافتراق عنه:

- إنني لا أستطيع مقاومتك وأنا الذي كنت أظن أنني سأفتنك . هأنا بحركة منك قد أصبحت مسحوراً.

ظلا يتبادلان نظراتهما المفعمة بكافة أنواع المشاعر والأحاسيس والعواطف . وبعد فترة بدأ يستعيدان هدوءهما شيئا فشيئا . قال لها "كلارك" بعد فترة :

- ما رأيك في أن نتناول قدح قهوة؟ وأعلم أن هذا عذر مكشوف لإطالة هذه اللحظات السعيدة.

وافقته "جايل" بهزة من رأسها وفي الحال خرجا من السيارة . أحست فجأة بالثقة والاسترخاء. أحست وكأن معاهدة وقعت بينهما وأنه سيحترمها.

أفاقت أمام برودة الليل وبدأت تتجه نحو المدخل وفي تلك اللحظة قرر القدر أن ينقلب ضدها . تعثرت في حجر وفي إثارتها قلبت عربة العاب "بيلي دون بوزيه" الصغيرة والمحملة بالعابه كلها وسقطت كل محتوياتها المعدنية في ضجة على الأرض.

فجاة استيقظ كل الشارع وبدات الكلاب في النباح وكانها فرقة كورال الكلاب . اضيئت الانوار في الحال وازيحت الستائر من فوق النوافذ لمعرفة ما يجري.

ظل "كلارك" و"جايل" مسمران في مكانيهما لحظة قصيرة فوق الرصيف وكانهما تمثالان من الصخر ثم احسا بالعجز امام التعذيب الذي مارسته الأحداث عليهما ورفع "كلارك" عينيه نحو السماء وهو يهمهم .

- أوه .. لا ! هذه ليست اللحظة المناسبة على الإطلاق.

أحست هي بتصاعد الأزمة العصبية . أصبحت غير قادرة على كتمان ضحكاتها فانفجرت وهي تحاول بلا جدوى أن تخفي فمها خلف يديها . ولكنها عندما رات تعبير العجز باديا على وجه "كلارك" تراجعت عن رغبتها في إخفاء ضحكاتها . انضم إليها "كلارك" في الضحك وانطلقا في مهمتهما باعلى ما في عقيرتهما من قوة .

استندت "جايل" على "كلارك" حتى لا تقع من طولها واخذت كلاب الحي تواصل حفل النباح الأوبرالي.

وصلتهما نظرة قاسية وحادة من بيت "آد" قطعت صحبتهما المرحة . أما صاحبة النظرة فهي مربيته التي طمانتها "جايل" وهي تحاول الهدوء:

- كل شيء على ما يرام يا سيدة "رابورت" هيا عودي إلى نومك ثانية.

سالها "كلارك" في دهشة:

- ما الذي قالته ؟

- لا شيء مهم . من النادر أن يفهمها أحد ولكنّ احدا لا يسالها ابدا

عما تعنيه . عادة من يسمعها يتظاهر بالتفكير ويهز راسه ببساطة وهكذا يمر الأمر بسلام .

بعد فترة رفعت "جايل" عينيها إليه فابتسم حزينا :

- أعتقد انه من الأفضل الا ادخل ولو لتناول قدح قهوة بسيط؟

كم تتحرق شوقا الا تدعه يرحل . ولكن كيف ؟

همست اخيرا:

- نعم .. من الأفضل .. نعم من الأفضل جدا أن تفعل ! ورغم جهدها في إقناعه إلا انها فشلت. قال:

- انت تقولين هذا .. ومع ذلك تعلمين مثلي انه غير صحيح بعد نظرة طويلة بدت وكانه سيستسلم قال في نفسه ليقل: "آد واطسون" ومربيته ما يقولان .. ولكنه فجاة انتصب وتركها عائدا ببطه إلى سيارته .

وقبل أن يستقر فوق مقعده خلف عجلة القيادة لوح لها بيده نحو النافذة المضاءة على الجانب الآخر من الطريق.

فيما بعد بوقت طويل اندست "جايل" في فراشها ووجدت صعوبة في ان تنسى . كان وجه "كلارك" وكلامه يطاردانها بإلحاح . لقد قضت كما وعدها وقتا سعيدا في صحبته . ولكنها اكتشفت أيضا في داخلها مشاعر واحاسيس مزعجة لم تتوقعها قط ولم تكن ضمن برنامجها .

تساءلت: لماذا اجتاحها فجاة انطباع بانها تستطيع أن تجرحه بسهولة ؟ ولماذا تتطلع إلى حمايته بكل ما لديها من قوة؟ من اي ضرر...؟ من الضرر الذي يمكن أن تسببه له بوجه خاص؟

الفصل السادس

ازدحم "السوبر ماركت" الوحيد في "برادل" بالزبائن هذا الصباح . حملت "جايل" رابطة "كرفس" وكيس تفاح ووقفت في الصف أمام الخزانة وهي تنتظر في صبر دورها . كانت الصرافة "جورجيت" و زوجة مدير البنك "إيرين بتسي" تثرثران كعادتهما وتتبادلان النصائح حول حديقتيهما

لم تكن "جايل" مهتمة بحديث المرأتين فاستغرقت في الحال في أفكارها . منذ رحيل "كلارك" بعد يومين لم تكف عن التفكير فيه . ورغم غيابه كان يساورها أحيانا اعتقاد بأنه لن يتركها أبدا . وعندما كانت تقابل أصدقاء أو جيرانا كانوا جميعا بلا استثناء يتحدثون معها عنه وكأنه أصبح فجأة الموضوع الوحيد للحديث في البلدة . وعندما تكون بمفردها كانت تنتهز كل لحظة لتفكر فيه . وفي الليل.. عندما تنام كانت

تحلم به وهي فريسة لأفكار مجنونة . لقد كانت أحلاما مزعجة تتميز بواقعية مرعبة . والأكثر إزعاجا أنها أحلام لا تخص الحاضر وإنما المستقبل . مستقبلها في صحبة "كلارك" . وفي كل صباح عندما تستيقظ كان عليها أن تصارع حتى لا تتعذب بهذه الجزئية من الأحلام. إنها تحس وتعي أنها راضية عن حياتها وهي بمفردها مع أولادها وحتى لو أرادت أن تتزوج مرة ثانية مع أي رجل كان فإنها لن تقبل أن تمسك بزمام أسرة مستقرة فعلا فهناك الواقع ثم هناك أحلامها، وأحلامها لا تبدو بها أي صلة بالواقع . ولماذا في عقلها الباطن تحاول أن تتجاهل وجود "كلارك" المرتبط بها بشكل رهيب ثم لماذا في نفس الوقت تتمنى رابطة من المستحيل أن تتحقق ؟ لماذا ؟

فجأة جاء دورها أمام الخزانة وأخذ الناس خلفها يدفعونها . دفعت عربة البضاعة إلى بنك المحاسبة ووقفت أمام "جورجيت" التي صاحت بابتسامة واسعة :

- كيف حالك ؟ وكيف حال الولدين ؟ لقد علمت أنهما رحلا في العطلة الصيفية .. يا لوالديك المسكينين مع هذين الشيطانين . لابد أنهما لن يضحكا مدة طويلة ولكن في الحقيقة فإن لاعبنا الشهير غائب أيضا بعض الوقت . هل تشتاقين له ؟

وافقت "جايل" بهز رأسها . على أية حال لا فائدة من إنكار علاقتها بـ"كلارك" . لقد حاولت عدة مرات ولكن الناس في البلدة لم يهتموا باعتراضها . قالت السيدة السمراء الضئيلة الجالسة خلف الخزانة:

- لابد أن ابنك "جيف" سعيد جدا.

ردت عليها "جايل" دون أن تهتم بتلميحاتها الخفية:

- نحن جميعا سعداء وليس كل يوم ننال فيه شخصية مشهورة مثل "كلارك" في "برادل".

- بالتاكيد .. ولكن بالنسبة لـ"جيف" فالأمر مختلف . إن المسكين الصغير يحتاج إلى أب .. إنه في حاجة إلى وجود رجل بجواره.

أطلقت "جايل" زفرة طويلة ونظرت للصرافة في ضيق وملل . استعدت للرد عندما قررت الآنسة "كورا" - وهي سكرتيرة عانس على المعاش - التدخل في الحديث وهي تهز راسها:

- "إن جورجيت" على حق يا "جايل" . إن "جيف" في حاجة إلى رجل فقد أصبح متوحشا للغاية.

دهشت "جايل" .. واحتارت :

- متوحش ؟ ولكن ماذافعل ؟

تصورته بالفعل وهو عضو في عصابة من الصغار يرعبون العجائز الضئيلات في البلدة . ولكن "جيف" نادرا ما يغادر البيت . أين يجد إذن الوقت والإمكان للانطلاق في تلك المغامرات ؟ تابعت الآنسة "كورا" بلهجة حادة:

- في آخر يوم له بالمدرسة رن جرس بابي ثلاث مرات متتالية . وفي كل مرة أذهب لأفتح الباب يختفي في الحال في الأكمة.

أحست "جايل" أخيرا بالارتياح . إن الأمر ليس خطيرا كما صورته تلك العانس الحيزبون . إن الأولاد في سنه جميعهم بلا استثناء يحبون معاكسة العجائز ولكن دون شر أو أذى . اعتذرت:

أنا . آسفة لأنه أزعجك وأعدك أن اتحدث معه حتى لا يكررها .

أصرت الآنسة "كورا":

- إنه يلزمه أب. وإلا فالله وحده يعلم ماذا ينتظره.

فكرت "جايل" في نفسها أن ما ينتظره بعد رن جرس الباب للعجائز هناك فتح خزائن البنوك...

التفتت نحو "جورجيت" وسلمتها الحساب وانتظرت في صبر وضع بضاعتها في حقيبة المحل وربطها تدخلت الصرافة في ابتسامة طيبة.

- إنه ولد لطيف . ولكن يجب الإحساس بأنه ليس مفيدا بالنسبة لامراة أن تظل طويلا بمفردها إنها تجف بفعل الزمن والوحدة .

غمزت بعينيها نحو الآنسة "كورا" بما معناه أنها قد تصبح مثلها في يوم من الأيام وأن عليها أن تتخذ في الحال إجراءات منشطة .

لم تجب "جايل" واخذت مشترياتها وسارعت بالخروج من "السوبر ماركت" وهي تهمهم في نفسها من بين أسنانها أن الأمر أصبح أكثر مما يحتمل بكثير. ومع ذلك لم تكن هذه أخر متاعبها. ففي الصيدلية بعد ذلك حضرت نفس المشهد ونفس النصائح حتى لم تعد تتحمل بعد ذلك . ولذلك عندما انتهت من التسوق لجأت إلى سيارتها لتتجنب ابتسامات المارة ذوات المعنى وتعليقاتهم المليئة بالتلميحات وأسئلتهم الوقحة المكشوفة .

عند عودتها إلى البيت اغلقت على نفسها بالقفل والترباس وأطلقت زفرة ارتياح طويلة وعميقة ولكن يبقى أمامها أيضا أن تنضم إلى "جودي" للغداء كما وعدتها .

قالت وهي تهمهم وترتدي ملابسها في حجرتها :

- لم لا ؟ سأذهب .. ولكني سأصرخ هادرة لو سمعتهم ينطقون اسمه ولو مرة واحدة.

بعد ساعة عندما رنت جرس باب صديقيها استقبلتها "جودي" وعلى فمها ابتسامة عريضة ولكن على عكس ما كانت تخشاه لم تذكر صديقتها اسم "كلارك" ولو مرة واحدة . ولكنها عندما عبرت باب الحديقة فهمت السبب . كان الرجل الذي يطارد خيالها ليل نهار جالسا أمام المائدة محاطا باثنين من أصدقائهم وقد أمطره الرجلان بالأسئلة وهو لا يعرف كيف يخرج من هذا المازق. نسيت "جايل" في الحال غضبها وتوترها . وأحست فجاة بانها مليئة بالبهجة . أخذت تتامله في اهتمام مقرون بالسرور وهو يستمع في أدب إلى نصائح الضيفين وتوصياتهما. لقد جاء الدور عليه لتحمل ما تحملته هي في أثناء غيابه .

عندما لمحها "كلارك" نهض مرة واحدة وسارع نحوها ثم أمسك بذراعها وسحبها بعيدا عن الآخرين وبحث عن ملجا خلف شجرة البلوط الضخمة بعيدا عن عيونهم الوقحة . صاح في ارتياح.

- هانت أخيرا يا "جايل" .. لقد كنت أخشى جدا ألا تحضري.

سالته وهي تضحك:

- إذن ما رايك في أهل "برادل"؟

زفر وهو يهز رأسه :

- في حياتي لم أر لهم مثيلا .. ولن أرى .. أليس لديهم ما يشغلهم غيرنا ؟

- لو أنني فهمت جيدا فلابد أنك مللت سماع أخباري؟

والحديث عني بلا انقطاع.

احتج في الحال :

- لا .. لا على الإطلاق ! إنني أحب أن أسمع عنك ولكن هذا البريق في عيونهم هو الذي لا أتحمله .

- لا شك أنهم اعتبروني الأنثى التي تتقلب في فراشها في نفاد صبر حتى يأتيها رجلها .

ضحك "كلارك" عاليا ولمعت عيناه مسرورا:

- لا ليس هذا ما قصدته .. لقد كنت اظن أنني أطارحك الغرام في السر!

- تطارحني الغرام ؟ هذا غريب لأنني لم الاحظ ذلك.

- حقا ؟

بدأت تحس بقلبها ينبض بشدة وعرفت كم اشتاقت إليه في غيابه. لقد حاولت وقتها أن تتغلب على شوقها لو جوده وثرثرته معها ومعاكسته لها .. إنها في الحقيقة وفي هذه اللحظة لم تعد ترى سواه . ولا تسمع سوى زقزقة العصافير فوق شجرة البلوط وهي تغني لهما .

- لقد اتصلت بك مبكرا لأخبرك بوصولي .. ولكنك لم تكوني موجودة.

شرحت "جايل" بصوت لايكاد يكون مسموعا:

- نعم .. لقد خرجت للتسوق . انا أسفة لأنني لم الحق تلك المكالمة .

- وانا كذلك ... إنني أندم لأننا هنا لا نستطيع أن نأخذ راحتنا ولأعبر لك عن مدى شوقي.

ظلا فترة طويلة يتطلع كل منها للآخر. ولكن سرعان ما بدأ بقية الضيوف يشكون صمتهما ولذلك تركا ملجاهما لينضما إلى الآخرين .

- مساء الخير يا "جايل".

www.rewayat.com

فزعت الشابة في مكانها عندما حياها في صوت واحد كل من الأخوين "لاري و"روي كسلر" وقد علت الابتسامة وجهيهما . قال "لاري" بلهجة ملحة عندما رأى ترددها:

- حسنا .. ألن تقدمي لنا صديقك الجديد؟

رفعت عينيها إلى السماء في يأس ثم استدارت نحو "كلارك":

- أقدم لك "لاري" وروي كسلر" صديقان . وكما ترى انهما متشابهان كقطرتي الماء. والأسوأ من ذلك أن كليهما فاقد للضمير والذوق تماما ، وأنا أسميهما "الروبابيكيا" لانه ليس لهما عقل وإنما في رأسيهما كيس القمامة.

رد عليها "روي" وهو يمسك بها من وسطها :

- وكلانا يعشقك . ولكن الآن لو سمحت يا سيد."جيلبرايت" نريد أن نعرف نياتك نحو عزيزتنا "جايل".

فحت كالحية وهي تكاد تنفجر غضبا:

- "روي" ! هل يمكن أن تخرس ؟ لا تستمع لهما يا "كلارك" ! منذ عرفتهما لم أجد أي وسيلة لأمنعهما رغم استخدامي لأفظع الألفاظ.

حرك "روي" حاجبيه بطريقة "جروشو ماركس" أكبر الثلاثي الكوميدي إخوان "ماركس" ثم انحنى نحوها :

- إنك تحاولين تثبيط همتي .. آه لو علمت الحلول التي أعددتها لك وهي أفضل الحلول على الإطلاق.

تدخل "لاري" وهو ينادي زوجة أخيه :

- "مارشا" هل يمكن أن تسهري على "روي" ؟ لقد انحرف مزاجه مرة أخرى .

نادت "مارشا" زوجها في الحال:

- تعال بسرعة يا عزيزي .. أنت حبوب !

عندما انضم الأخوان التوءمان إلى بقية رفاقهما سارع "كلارك" بسؤال "جايل":

- وهل هما هكذا مطلقا السراح دائما ؟

- لا تشك ياعزيزي ..إنهما في الحقيقة هادئان اليوم . انتظر عودة المدارس وسترى ما الذي يستطيعان عمله؟ في العام الماضي عثرنا على بنطلون فوق رأس التمثال المقام أمام المدرسة وقد ظل "هاريسون" شهرين كاملين يبحث عن المذنب وهو يظن أنه من عمل التلاميذ : ثم اكتشف أخيرا أن "روي" و"لاري" هما المسؤولان الوحيدان عن المشكلة .

قال "كلارك" في دهشة:

- لا تقولي لي : إنهما مدرسان أيضا؟

- بل هما مدرسان بالتأكيد . وهما يدرسان الرياضيات والجبر ، وهما ممتازان .. والأولاد يعشقونهما . ربما لأنهما يشبهانهم كثيرا .

اتجهت نحو المائدة وجلس "كلارك" بجوارها . أخذت تثرثر كثيرا مع جيرانها على المائدة . ولكن لما أحس "كلارك" أنه غير قادر على الاشتراك في الحديث أحس برغبة شديدة للانفراد بها خاصة وأنه يتحمل بمشقة وجود كل هؤلاء الناس حولهما .

خلال إقامته في "كاليفورنيا" لم يكف عن التفكير فيها وأحيانا في أثناء النهار كان يتوقف عن العمل وهو يتذكر فجأة تعبيراتها وملاطفتها وابتسامتها الوضاءة.

بينما كانت تتناقش مع جارتها ألقى هو نظرة مختلسة نحوها ثم

دون أن يفكر خلع حذاءه ولكزها في ساقها . أحست "جايل" في البداية برغبة في الضحك.

ولكنها ارتجفت لأنها خشيت أن يضبطوهما .. بهدوء شديد غرست كعب حذائها الحاد في قدمه.

فوجئ "كلارك" بما فعلته وأوشك أن يختنق وهو يشرب الشاي المثلج أطلق صيحة ألم . وعندما وجدت كل الأنظار تتجه إليه خفض عينيه في الحال في طبقه . همهم وهو ينظر إليها بطرف عينه ويصر أسنانه:

- اللعنة .. ولكن ما الذي تملكك لتفعلي هذا ؟

ابتسمت له "جايل" في براءة :

- ألا تقدر منهجي الجديد نحو ما أراه وأفهمه ؟

أحس هذه المرة بالرغبة في الضحك ولكنه فضل السكوت حتى لا يثير انتباه بقية الضيوف استجمع شجاعته واشترك في صبر في الحديث ومع ذلك لم يكن يحلم إلا بشيء واحد .. أن يكون بمفرده مع "جايل". انتزعه "روي" من أفكاره فجأة:

- إذن هل تظن حقا أنك ستنجح؟

كان الجميع قد استقر في المقاعد الوثيرة ذوات المساند تحت ظل شجرة "ميموزا" وارفة . تابع "روي" حديثه :

- إنك لا تعرف منافسيك هذا العام. ثم إن أحسن لاعب عندنا تركنا في الأسبوع الماضي بعد أن وقعت له حادثة .

تدخلت "جايل" وهي قلقة:

- من الذي حدثت له حادثة ؟ إنني لم أعلم بذلك .

غاظها "روي" بقوله :

- بالتأكيد يا عزيزتي فانت مشغولة . لقد التوت عقب "تيرز" وهو يساعد والده في المحل . إن الأمر ليس خطيرا ولكن الدكتور "هاردنج" أوصى بضرورة حصوله على الكثير من الراحة . وبذلك لن يستطيع الاشتراك في البطولة هذا الموسم . وهو من أفضل لاعبي الفريق . هل تظن أنك يمكن أن تنجح بدونه يا "كلارك" ؟

أعلن "كلارك" أمام الحضور الذين انتظروا حكمه:

- على أية حال اعدكم أن أبذل قصارى جهدي . حقيقي إنني لا أعرف جيدا الفريق بعد . ولكني في أحيان كثيرة أتيحت لي الفرصة لمشاهدة بعض المباريات في العام الماضي وأعتقد أنني وجدت الحل لمشكلتنا . ربما في موهبة مدفونة..

- من ؟

تحدث "لاري" و"روي" و"هاريسون" في نفس واحد كانوا متحمسين لمعرفة اسم المهاجم . رد ضاحكا:

- أرجو الهدوء! ستعرفونه قريبا.

انتهز الرجال الثلاثة الفرصة ليمطروه بالأسئلة. ولكن "كلارك" لم يخف من إلحاحهم ولم يخضع له . نجح شيئا فشيئا في تغيير الموضوع ليتجنب الحديث في كرة القدم . بعد قليل ورغم احتجاجات المدعوين ترك المكان مع "جايل" عبرا الشوارع متشابكي الأذرع متجهين إلى البيت .. بيت "جايل" علقت فجأة:

- لقد لعبت عليهم دورا قذرا فعلا . أن تقول لهم إن لديهم نجما كرويا وسط فريقهم ومع ذلك لم يستطيعوا أن يكتشفوا من هو .. هذا ليس

ذكاء منك على أية حال .

قال يعاكسها وعيناه مليئتان بالمكر:

- الغاية تبرر الوسيلة يا عزيزتي .

- ياللهول ! لابد أن تخجل من نفسك!

- هيا .. هيا ... هذه هي صغيرتنا "جايل" .

سمعا صوتا خلفهما جعل "جايل" تفزع وتستدير بحدة لتكتشف "آد" جالسا تحت شرفته . زمجرت :

- أوه .. لا .. ها هو سيعيد الكرة .. وانت يا "كلارك" هل سبق ان التقيت بفيلسوفنا؟

- لا .. لا أعتقد ذلك !

- إذن لا تتاخر عن التعرف بهذه الظاهرة الفذة .

أمسكته من يده وسحبته ناحية بيت "آد" .

كان الرجل العجوز مستقرا أمام باب بيته ويهتز فوق المقعد الهزاز الخشبي. قال موجها الحديث لـ"جايل" وهو يراها تقترب منه بصحبة "كلارك" :

- أترين انني لم أكن مخطئا ! إن كل البلدة عيونها مسلطة عليكما . وكم هو ظريف أن أراقب الناس وهم يفعلون ذلك . إن المساكين لا يعرفون أين يضعون رؤوسهم . منذ وقت بعيد لم يتحدث مثل هذا الحديث في "برادل" وهم يريدون بكل كيانهم أن يحتلوا المقاعد الأمامية لمشاهدة المسرحية.

لم تعر الشابة أي انتباه لكلام العجوز وقامت بعملية التعارف بسرعة . قالت وهي تلتفت إلى "كلارك":

- إنني أحذرك فلديه أكثر من لعبة في جرابه .

لم يتاثر "آد" واستمر في إغاظة "جايل" . ثم قطع كلامه فجاة ليلقي نظرة سريعة على الكلب الضخم القابع تحت قدميه وقال له: - هل رايت هذا ؟ حسنا انا لم أكن أصدق ذلك.

فتح الكلب عينيه في كسل ثم أغلقهما في الحال ساله "كلارك" وهو حائر:

قال العجوز في دهشة:

- الم تلاحظ انه شد اذنيه عندما راك ؟ هذه أول مرة يتعلق فيها بشخص بهذه السرعة .

عادة الكلب "وولتر" يكون متوجسا . أليس كذلك يا "جايل"؟

لم تجب الشابة . واخذت تتامل "كلارك" بركن عينها . لقد بدا مضطربا حائرا بالنسبة لـ"آد" . ويمسك كلبه الغريب . كان على "جايل" أن تبذل جهدا حتى لا تنفجر ضاحكة . على أية حال إنها لا تستطيع أن تفعل شيئا من أجله مادام بين يدي جارها الشيطان . قال "كلارك" في تردد:

- إنه يبدو .. غير مستيقظ .. أعني الكلب .

قال "آد" شارحا في شرود:

- هذا هو الانطباع الذي يعطيه . ولكن "وولتر" عميق التفكير جدا ، ورغم ما يبدو عليه فإنه يراقب ولا يفوته شيء.

قهقهت "جايل" بعد أن عجزت عن كتم ضحكتها:

- خذ حذرك يا "آد" في يوم من الأيام سينتهي بك الأمر إلى الموت خنقا .

- سيدهشني أن أموت خنقا . وإذا حدث في يوم من الأيام أن مت فسيكون ذلك برصاصة من أحد الأزواج الغيورين الذين يحومون حولي.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتفاخر فيها العجوز بغزواته النسائية ومع ذلك فإن هذه الكلمات جعلت "جايل" تبتسم . قال العجوز:

- إذن أنت الذي أدرت رأس ابنتنا الصغيرة .

- من فضلك يا "آد"!

رجته أن يصمت ولكنه لم يعرها انتباها واستمر في حديثه دون أن يشعر بالتعب .

- في سني كان كل شيء مسموحا به يا صغرتي! وهذه هي الميزة الوحيدة التي لنا. نحن الكبار نقول ما بقلوبنا ونشاهد الشباب يلعبون نفس لعبتنا التي لعبناها من خمسين سنة. وهذه المرة لدي لهفة أن أعرف بقية الحكاية ..

لم تنتظر "جايل" أن يتم عبارته وأمسكت بذراع "كلارك" وأشارت له أن وقت العودة قد حان.

ظل "آد" وحيدا تحت الشرفة وانطلق في الضحك وهو يتابعهما فترة بنظراته .

سألها "كلارك":

- هل كان جادا في حديثه عن الكلب "وولتر"؟

-لقد كان يغيظك عن قصد ولكن انتبه فهو ليس غبيا لقد كان يعمل قاضيا في شبابه.

- حقا ؟

- نعم .. إنه رجل ذكي جدا ويعشق الهزر.

- لقد لاحظت ذلك وأحب أن أتناقش معه باستفاضة في يوم ما. أتدرين يا "جايل" أن كل الأصدقاء ودودون حقا .

- نعم ولكن ...

- إنني لا أستطيع أن أحرك أصبعي الخنصر دون أن يلاحظوا. أن لدي إحساسا بأنهم يراقبون حركاتي وسكناتي .

اعترفت وقد بدا على وجهها الحزن :

- أعلم .. وأنا كذلك أحب أن يتركونا لحال سبيلنا .

احتج وعيناه تلمعان فرحا .

- يمكننا أن نهرب بعض الوقت .

- لا جدوى من ذلك فإنهم سينطلقون فورا في ملاحقتنا ولكن سيجدون صعوبة في العثور علينا. بسرعة انتظر ! أعتقد أن لدي الحل الأمثل . ولست أدري لماذا لم أفكر فيه من قبل ؟ غدا هو الأول من مايو أقصد أول اثنين من مايو ..

نظر إليها "كلارك" وهو لا يصدق:

- هيا أفيقي ! غدا هو يوم السبت.

صاحت وهي تستدير نحوه :

- أعرف .. ولكن أول اثنين يأتي دائما يوم سبت بل أحيانا ما يأتي مساء الجمعة .

- اشرحي لي من فضلك فلست أفهم شيئا .

رفعت "جايل" عينيها ببطء نحوه ومن الواضح أنها سعيدة بأن

تضنيه :

- حسنا - في كل مقاطعة أو بلدة شرق "برادل" يقام سوق كبيرة بانتظام كل أول اثنين من الشهر. في البداية كان التجار في المدينة هم الذين يشاركون فقط في هذا اليوم . ثم شيئا فشيئا بدأ الناس من كل المنطقة يتوافدون على السوق وبدأ السوق تكتسب أهميتها . وكذلك منذ بضع سنوات أصبحت عيدا كبيرا ويستمر طوال عطلة الأسبوع . من مساء الجمعة إلى يوم الاثنين . ولقد مضى وقت طويل منذ توقفت عن الذهاب إليه.

أضاء وجه "كلارك" في الحال بعد أن فهم:

- ولكن هذا رائع!

- حسنا .. دعينا لا نبالغ ! فليس في ذلك غرابة ولكنه على أية حال يختلف عن الأماكن التي نرتادها عادة لقد قدمت لي عالمك والآن جاء دوري لأقدم لك عالمي ..

صاح جذلا من هذه الفرصة الممكنة ثم اختفت ابتسامته شيئا فشيئا:

- عدة ساعات على الأقل سنكون بعيدين عن أصدقائك المسلحين . آه لو علمت مدى رغبتي أن أظل بجوارك ! ولكن لابد أن أعود لأنني انتظر مكالمة هاتفية مهمة لعملي .. هل يمكن أن تقضي الليلة في بيتي ؟

- هذا مستحيل يا "كلارك" انت لا تعرفهم بعد معرفة جيدة . قد يظلون - لو اقتضى الأمر طوال الليل - ساهرين ولكنهم لن تفوتهم أقل تفاصيل سهرتنا . إنهم يجهزون تجهيزا كاملا بالعدسات المقربة وأجهزة المراقبة . ماذا تريد أكثر من هذا؟ إنهم لطاف جدا ولكنهم

يعشقون الأقاويل. إنها أفضل وسيلة تسلية عندهم .

زفر "كلارك":

- هذا بالضبط ما شككت فيه .. أوه يا "جايل" كم أود أن أعيش كل حياتي بجوارك.

ظلت "جايل" في مكانها دون حركة وهي مبهوتة من شدة عاطفتها ولم تجرؤ على تحويل عينيها عنه. استمر "كلارك" وهو محبط :

- لم يحدث قط أن كنا بمفردنا معا . هناك دائما شخص يدس أنفه في شؤوننا . كم كان الأمر سيكون بسيطا للغاية لو عشت في مدينة كبرى

ضحكت بصوت عال:

لتداري اضطرابها :

- هل تصدق أنه كان من الممكن ألا نلتقي أبدا ؟

- أوه بل كان سيحدث ! ورغم أننا من عالمين مختلفين فقد قربت الحياة بيننا . تصوري أننا خلقنا حتى نتقارب وأن كل هذا كان مقدرا من وقت بعيد .. أنا وأنت !

كان يستمع إليها وكأنه في حلم . وكانت كلماته المثيرة بدأت تدير رأسها. كم ودت لو صدمته !

ومع ذلك فإنها لازالت مترددة . ثم ماذا لو كانت هذه خطة تكتيكية أخرى لهجوم ؟ وماذا لو استمر في اللعبة ؟ أليست لعبة على أية حال ؟

همس صوت العقل في أذنها أن تنتبه وألا تخلط أحلامها مع واقعها:

- أعتقد يا "كلارك"..

- لا .. لا تقولي شيئا ! ولا تفكري في المستقبل . أنا لا أطلب منك شيئا .. أليس كذلك؟

- لا ..

هزت رأسها . ولكنه أحس أنها غير مطمئنة بالدرجة الكافية بينما عيناه الخضراوان اللتان تشوبهما الريبة لم تتركا وجهها لحظة.

- إذن عليك ألا تتعذبي . وكل ما أريده هو ألا تلغيني من حياتك . ودعي الأمور تجري في مجراها الطبيعي . ثم نرى ما سيحدث .. اتفقنا؟

أمسك بذقنها ورفعه لتنظر إليه . ارتسم شبح ابتسامة على شفتيها ثم أجابت همسا:

- نعم .. ولم لا ؟ لا يزال أمامي ثلاثة أسابيع من الحرية بدون الطفلين ودون التزامات وفي أثناء هذه الفترة ساكون معك قلبا وروحا ..

لم يجب "كلارك" وإنما ربت خدها . أحست برجفة تسري في كيانها وأغلقت عينيها لتتمتع بسحر اللحظة.

عندما فتحت عينيها أخيرا .. لم يكن موجودا. نظرت إليه في اضطراب وهو يبتعد أخيرا. لم يعد هناك ! ثم عادت إلى ذهنها نفس كلماتها له من لحظات.

- ساكون لك قلبا و روحا .

الفصل السابع

وصل "كلارك" صباح اليوم التالي عند "جايل" قبل الثانية بقليل. وكان مثل الطالب الهارب من المدرسة يشعر بكامل عافيته وهو يفكر في هذا الهروب وعندما فتحت له الباب أخيرا أعجب بساقيها الطويلتين البرنزيتين وهما تبرزان من الشورت الأبيض. أعلن وهي ترتدي قبعة من القش:

- اعتقد أني ساقع في هوى ساقيك بعد ابتسامتك طبعا والتي لاحظتها في أول لقاء لنا .

- وانا ؟ الا تعرف ماذا لاحظت فيك؟

- حسنا ! دعيني أفكر .. انت تعرفين تماما كيف تشبعين غروري . هل يمكن أن يكون منظر وجهي الجانبي الملكي ؟

- أنت تخسر .. إنهما عيناك.

www.zahrawia.com

- آه .. حسنا .. أتحبين عيني ؟

- نعم وبخاصة عندما تنظران إلى ساقي اللتين استرعتا انتباهك حتى إنني شككت أنك تعاني عيبا في الرؤية.

- هانت تعيدين الكرة ! أعرف أن الأمر سينتهي بك بتملقي .. هيا بنا قبل أن تقضي علي!

كان على وشك إغلاق الباب حين ظهر الكلب "ميري" من فرجة الباب . لم يتح له الوقت للتدخل حيث نهب الكلب الدرج كالسهم وقفز داخل السيارة من إحدى النوافذ المفتوحة . صاحت "جايل":

- اهبط يا "ميري"!

ولكن الكلب لم يتحرك . حاول "كلارك" عدة مرات إدخاله البيت دون جدوى . لم يتح الكلب لهما فرصة مراوغته وخداعه وكان في كل مرة ينجح في الهروب من مطارديه ويعود إلى نفس مكانه فوق المقعد الخلفي للسيارة وبدا سعيدا بالدور الذي يلعبه . التفتت "جايل" في يأس نحو "كلارك" وانتظرت قراره.

قال لها أخيرا وهو يبتسم:

- على أية حال فإن اصطحابه ليست بالفكرة السيئة .

- لا تقل لي : إننا سنصطحبه معنا؟

- ولم لا ؟ أنا واثق بأنه سيسعد بهذه الرحلة.

- آه ! ولكني أشك فيه وأتساءل: هل سيتركنا في حالنا لحظة؟

- هيا يا "جايل" لا تكوني قاسية لهذه الدرجة! دعيه يأتي معنا .

- حسنا .. على أية حال لقد حذرتك .. دعني على الأقل أحضر طوقه وسلسلته .. وإلا فلن يتيح لنا لحظة واحدة من الراحة .

بينما كانت السيارة تسير نحو "كانتون" لم تكف "جايل" عن تهديده بنظراتها ولكن الكلب ظل غير عابئ بتهديدها . كان "كلارك" أول من قطع الصمت :

- هل تحدثت أمس مع الطفلين ؟

- نعم بالتأكيد لقد وعدتهما ألا أتصل بهما إلا مرة واحدة في الأسبوع . وانتهى بي الأمر عمليا بأنني اتصلت بهما كل يوم.

- كيف تسير أيامهما عند والديك؟

- أوه ! إنهما مسروران كالعادة ! أتدري يا "كلارك" ! أنك ستعشق "كانتون" للغاية.

أحس "كلارك" بوخزة في صدره وهو يراها تتجنب الحديث عن طفليها . هل أدركت أنه يتعذب بسببهما في صمت ؟

ومع ذلك فضل ألا يلح عليها فلا يزال الوقت مبكرا على التدخل . قال معلقا وهو يخفي ألمه:

- ألاحظ أنك متلهفة على الوصول.

قالت معترفة وعيناها تبرقان من البهجة :

- هذا أقل ما يقال في هذا الشأن .. إنه عيد جميل جدا . ومنذ عشرات السنين وعطلة نهاية الأسبوع هذه أصبحت من أهم الأحداث شعبية في البلدة . وقد يضطر المرء للسير ساعة حتى يصل إلى قلب السوق . ولكن أحدا لا يشكو ذلك . إنه محبوب جدا ومن الممتع قضاء بعض الوقت في وسط المرح العام!

صمتت واسترخت في راحة على مقعدها . كانت ترجو بصفة خاصة أن يعجب "كلارك" بالعالم الذي تستعد لتقديمه له لاكتشافه. إنه عالمها..

شردت مع أفكارها تساءلت: ماذا سيكون تصرفه نحو الزحام الغفير من الناس ومعها ؟ ثم التفتت ثانية نحوه وتاملت لحظات تعبيره الجامد قبل أن تقرر استئناف الكلام:

- عندما أفكر أنه لم يمر سوى ستة أسابيع على وجودك في "برادل".. لا أستطيع أن أصدق . وأحيانا أحس انني أعرفك من وقت طويل جدا.

أضاءت وجهه ابتسامة عند سماعه كلامها هذا .

- هذا يحدث أحيانا .. ربما تعارفت روحانا قبل الآن .. قبل أن نتعارف.

- نعم ربما ...

قطعت حديثها لتغلب الانفعال عليها. تساءلت: ماذا تقول له؟ إنها تعرفه من فترة قصيرة ومع ذلك تحس بانها قريبة منه . إنهما يحبان نفس الأشياء ويضحكان على نفس الفكاهات ويثوران أحيانا لنفس السبب . لماذا؟ تدخل "كلارك" فجاة :

- لا تنسي اننا في العطلة السنوية.

كانت بلدة "كانتون" الصغيرة تقع على طرف غابة فسيحة وضخمة من أشجار الصنوبر والبلوط وعلى بعد ساعة بالسيارة من "دلاس" ولحضور هذا الاحتفال او الصيد كان الناس ياتون من كل حدب وصوب من ولاية "تكساس" ليقضوا أياما كاملة وهم يفتشون الاف قوائم العرض للبضائع المختلفة .

عند وصولهما أحست "جايل" أولا عند"كلارك" حركة تراجع خفيفة . ولكن ضيقه اختفى في الحال وبدا ينضم شيئا فشيئا إلى الجمهور . وبدا يحيي العابرين في طريقه والثرثرة معهم وكانهم أصدقاء من زمن

بعيد.

تسكع "كلارك" و"جايل" ساعات وقد أمسك كل منهما بيد الآخر وانتقلا من حانوت إلى آخر متمهلين أمام واجهات عرض الآثار والعاديات ويعجبان بالمعروضات من حلي ومجوهرات قديمة وكذلك العرائس التقليدية . لم يكونا يعرفان أين يركزان فهناك آلاف الأشياء المعروضة .. وفي أغلب الأوقات كان "ميري" يذكرهما عندما يتاخران اكثر من اللازم أمام قائمة عرض.

كان "كلارك" يحدج "جايل" بركن عينه من حين لآخر ويتساءل: هل تخمن عواطفه؟ هل سيحب عالمها والبساطة والرقة من الناس الذين يقابلهم ؟ ولكنه لم يكن يحس بانه في بيته . لقد كان غريبا، مجرد زائر عابر للطريق .

لقد كان طوال حياته مبعدا ووحيدا . وكان يجد صعوبة في اختراق هذا الحاجز الذي يفصله عن الآخرين إن عاطفة الأسف والضيق لم تفارقه سواء في طفولته أم في مهنته كلاعب كرة قدم وفيما بعد بدات العيون تحيط به وتحاول مصاحبته ولكنه لسبب وحيد وهو شهرته . وكانت القلة من الناس وقتها يهتمون حقا بما هو في أعماق أعماقه . ثم جاء وصوله إلى بلدة "برادل" بعد أن ظل "هاريسون" زمنا طويلا الوحيد الذي يعتبره صديقا صميما بغض النظر عن شهرته .

والآن أصبح هناك "جايل" وأحيانا يعتريه شعور بانها الوحيدة التي يكشف لها عن عواطفه إنه يريد بقوة الدخول في هذا العالم وأن يصبح جزءا لا يتجزأ من حياته . ولكن كيف يصل إلى تحقيق ذلك دون أن يجعلها تجفل منه وتبتعد عنه للأبد ؟ لا يجب عليه بالأخص

أن يفرض نفسه ولكن يجب أن ينتظر أن تدعوه هي بنفسها إلى عالمها، ويجب أن تكون رغبتها في الانضمام إليه رغبة قوية مثل رغبته. فكر وهو يتأمل "جايل" أن عليه التذرع بالصبر.

أعجبا بمفارش سرير مطرزة باليد عندما جذب "ميري" سلسلته بشدة وقد أهاجته رائحة اللحم وأخذ يجذبها نحو نصبات الهامبورجر والسجق الساخن . تضايقا لكنهما سعدا عندما وقفا أمام الهامبورجر الضخم المعد خصيصا لهذا العيد الشهري . تناولا الطعام بشهية وتناولا في التحلية بعض الفواكه ثم جلسا على العشب بجوار شجرة بلوط ضخمة بعيدا عن الزحام وحركة السوق المثيرة والمفعمة بالحيوية والضجيج.

كان "ميري" سعيدا وراضيا وتكور في ركن من المكان واستغرق في النوم . أسندت "جايل" ظهرها على جذع الشجرة وتأملت "كلارك" وهو يلتهم خوخة ضخمة في تلذذ . كان يشبه طفلا يلتهم الفواكه في شهية بسرعة وكأنه يخشى أن ينتزعوها من بين يديه فابتسمت . سألها :

- ما الغريب الذي يجعلك تبتسمين ؟

- إنني أمنعك من الاقتراب مني لأنني أخشى أن تلتهمني كما تلتهم الخوخة.

نظرت في عمق عينيه وشردت في عالم آخر وظلت فترة طويلة شاردة في أحلامها إلى أن وصلها صوت "كلارك" وكأنه آت من بعيد :

- من فضلك لا تعذبيني يا "جايل"؟

أمام كلماته هذه ابتعدت عنه فجأة ونهضت مرة واحدة ثم نظرت إليه من أعلى بعينين واسعتين وهمست وهي تضحك في عصبية :

- أنا آسفة جدا يا "كلارك" . لست أدري ماذا ألم بي .

- لا، لست مضطرة للاعتذار ولا الندم على أي شيء مهما كان... إنني أحبك مثلما أحب الخوخ .

ضحكت واطمأنت لجديته ومسلكه الرصين عادت إلى مكانها أسفل الشجرة وأخذا يستمتعان بالسكون حولهما .. قالت هامسة:

- آه لو عرفت مدى إعجابهم بك في "برادل" بالتأكيد في البداية لم يروا فيك سوى "كلارك جيلبرايت" الشهير . ولكنهم الآن يعرفونك جيدا وهم يعتبرونك حقا واحدا منهم يفخرون به.

نظر إليها "كلارك" في دهشة . هل خمنت أفكاره؟

- ومع أنني لا أملك أكثر من الآخرين ..

تدخلت في الحديث وهي متشككة:

- لا تملك أكثر منهم ؟ وماذا عما فعلته بعد الفوز في الأولمبياد من أجل الأطفال المعوقين؟ ألا تعتبر ذلك أمرا غير مألوف . لماذا قبلت أن تعتني بهم يا "كلارك" ؟ هل هذا بسبب الصعوبات التي واجهتها وأنت في سنهم ؟ هل كنت تحس بصفة خاصة أنك قريب منهم .

رد عليها وهو يهز كتفيه :

- ربما . لست أدري السبب الحقيقي لاختياري . وفي أحد أيام الآحاد وأنا أشاهد التليفزيون عرضوا مقتطفات من مباريات محلية . وكان كل الأطفال المعوقين - وبعضهم على مقاعد متحركة - شاركوا في السباق وكرة السلة وعروض رياضية... وتابعت العرض التليفزيوني حتى نهايته، أصبت بعده بالاضطراب .. ولم يكن بسبب الشفقة التي أحسها نحوهم وإنما شجاعتهم وإقدامهم الذي يستحق الإعجاب . وقد امتلأت

فخرا وإعجابا بهم وفي نفس الوقت لم أستطع أن أمنع نفسي من الشعور بالعار لأن مشاكلي إذا قورنت بمشاكلهم تصبح فجاة مثيرة للسخرية.

عندما انتهى "كلارك" أخيرا بدا منهمكا وكأنه في نهاية مباراة من المصارعة . تأثرت "جايل" ولم يطرف لها رمش وإنما بللت الدموع مقلتيها ولم تحاول أن تمنع سقوطها.

كانت تعلم أن هذه اللحظات ستحفر في عقلها. إنها ستقبل "كلارك" في حياتها حتى وإن لم تكن مدركة لذلك كلية . ظلا وقتا طويلا عند أسفل شجرة البلوط وكل منهما لا يجرؤ على قطع حبل الصمت فقد بدت الكلمات غير ذات مغزى .

في نهاية فترة ما بعد الظهر قررا العودة .

وسارا حتى السيارة متشابكي الذراعين في حنان في طريق العودة وهما يعبران الطريق وسط أشجار الأرز . التصقت "جايل" بـ"كلارك" وهي تتامل المنظر الطبيعي الخلاب . سالته بصوت هادئ :

- فيم تفكر ؟ في أصدقائنا الأعزاء في "برادل"؟

- في الحقيقة أحاول أن أنساهم بعد هذا النهار الجميل بالقرب منك وليست لدي حقانية في أن ..

منعت الضجة التي أحدثها "ميري" "كلارك" من إكمال حديثه . كان الكلب الذي أخذ كفايته من النوم قد استيقظ وأخذ يتقلب ويخمش الباب في عصبية . حدجته "جايل" بنظرة من فوق كتفها ثم استدارت نحو "كلارك":

- من الأفضل أن نقف في الحال إذا أردنا تجنب الخسائر .. إنني

أعرف تماما عاداته .

ركن "كلارك" سيارته في الحال على جانب الطريق ونزل منها وضعت "جايل" الطوق حول رقبة "ميري" وسارت وراءه إلى داخل الغابة تشمم الكلب جذع شجرة ثم أخر وهو لا يستقر على حال. ضحك "كلارك" مقهقها وهو يرى نزوات الكلب:

- إن الطبيعة تعمل مفعولها ..

ردت عليه "جايل" في خشونة:

- هل تظن هذا ؟ هيا يا "ميري" أسرع ولا تكن عنيدا.

فجاة شد الكلب بقوة سلسلته ثم اختفى بين الأشجار . أصيبت "جايل" بالهلع والتفتت نحو "كلارك" الذي رد عليها وهو يهز كتفيه:

- لابد أنه عثر على بغيته .

- عد يا "ميري"!

ظلت تناديه عدة مرات ولكنها رأت أنه لم يظهر بعد ما انطلقت في مطاردته . قال "كلارك":

- من الأفضل أن ننتظره هنا.

- أنت لا تعرف "ميري" . إنه قادر على أن يضل طريقه ولن نعثر عليه أبدا . هل تتصور رد فعل "جيف" ؟ لو حدث لسوء الحظ أن عدت بدون الكلب فإنني لن أنتهي أبدا من لومه وتوبيخه والله وحده يعلم مدى براعته في ذلك.

بدا "ميري" يظهر من حين لآخر بين الأشجار ثم يختفي . قررت الشابة الإمساك به فجرت وراءه . صاح عليها "كلارك" ثم تبعها .

- لا تفعلي هذا يا "جايل" . ألا تعرفين أن هذا الحيوان يهزأ بنا؟

بعد ربع ساعة اضطرت للاعتراف بأن رفيقها على حق . بدا وكان الكلب يجد لذة ماكرة في الزوغان في اللحظة التي تستعد للإمساك به. ثبطت همتها وانقطعت أنفاسها فوقفت وأسندت ظهرها على جذع شجرة لتستريح. وقف "كلارك" بجوارها ونظر حولهما . وقال مطمئنا:

- لحسن الحظ أنك تعرفين المنطقة . ليست لدي أدنى فكرة عن المكان الذي نحن فيه.

التفتت نحوه في دهشة ثم رفعت عينيها إلى السماء دون أن تنطق كلمة . عندما وجدها لاترد تجهم ربما من الغضب . ولكن سرعان ما أضاءت ابتسامة وجهه وسألها:

- لا تقولي لي: إننا ضللنا الطريق؟

- إيه .. حسنا.

زمجر وهو ينفجر ضاحكا :

- لقد اعتمدت عليك لنعد إلى السيارة.

- يمكنني أن أقول شيئا كهذا . لقد كنت على راحتك في رحلتنا الكشفية الأخيرة حتى إنني لم أشعر بالقلق .

- أنا قادم من "بروكلين" يا عزيزتي ! أتعرفين ما معنى هذا ؟ لقد كان احتكاكي بالطبيعة ضئيلا، بضع شجيرات نحيلة وجافة على جانبي الرصيف فكيف تريدين مني أن أعرف طريقي في غابة كثيفة كهذه ؟

- وماذا فعلت من وقتها ؟ لقد كان من الواجب عليك أن تكرس بعض الوقت للريف بدلا من أن تحبس نفسك في المدينة.

اعترف وهو يضحك:

- هذا ما ظللت افعله . ولكن باستثناء أراضي المخيمات والرحلات

المنظمة لا أعرف شيئا

- فهمت !..

ظهر "ميري" فجأة وسط الأشجار وقطع حديثهما بالنباح . كان سعيدا بهروبه ثم جرى نحوهما ونظر إليهما بعينين لامعتين. زجرته "جايل":

- حسنا إنك لم تنجح في أن يلتهمك وحش على أية حال ستنفعنا على الأقل في إعادتنا إلى الطريق الصحيح حتى السيارة .

بدا وكان الكلب فهم قصدها فاندفع هربا عبر الغابة وانطلق "كلارك" و"جايل" في أثره وهما حريصان على ألا يغيب الكلب عن نظرهما لو أرادا العودة إلى "برادل" قبل هبوط الليل ولكنهما سرعان ما فهما أن ذلك أمل لن يتحقق . استمر الكلب في اللعب والمطاردة وراء أرنب بري أو سنجاب أوغيره من الحيوانات الصغيرة . صاح "كلارك" وهو يحاول ألا يضحك:

- والآن ماذا سنفعل ؟ إن هذا الشيطان يغيظنا.

زمجرت "جايل":

- لن نخسر شيئا من الانتظار ، واتعشم الآن أن نصل بسرعة إلى حل . أرجو ألا تفكر أنني ساظهر سيارة چيب بحركة من إصبعي !

هذه المرة لم يستطع أن يكتم ضحكته . ثم عندما رأى رعبها ربت كتفها وقال :

- لاتخشي شيئا .

- أوه يا "كلارك" ما الذي سنفعله ؟ لقد بدأ الليل يهبط وبسرعة نصبح عاجزين عن العثور على طريقنا.

- أتعشم ألا تكون هناك دببة في هذه الغابة.

قالت له بحدة وهي غاضبة:

- أحيانا ما يكون سكوتك نعمة . إنني بصعوبة أتحمل رؤية الضفادع وتحدثني عن الدببة ! ثم تقول لي ألا أخشى شيئا .

- هل نسيت أنني بجوارك ؟ سأصارع الدببة من أجلك وأحاول إبعادها عنك . والآن لنر الاتجاه الذي يجب علينا أن نسلكه . عند خروجنا من السيارة اتجهنا نحو الغرب . واعتقد أننا لو سرنا نحو الشرق لعثرنا على السيارة .

لم تبد "جايل" أي اعتراض . أمسكت سلسلة الكلب وسارعت بتتبع "كلارك" أخذ المكان يزداد ظلا ما شيئا فشيئا . والأدهى من ذلك أن السماء بدأت تمطر . كان "كلارك" أمامها مستمرا في الزمجرة . ثم فجأة أطلق صيحة ووقف في مكانه دون حركة.

سألته :

- ماذا هناك؟

- لست أدري .. إنني أرى هناك شيئا مثل مبنى ويستحق أن نلقي عليه نظرة في حالة ما ..

- أتعتقد أننا قد نقضي الليلة هناك ؟

أخشى أن تكون الإجابة بـ"نعم" . إنها تمطر وتزداد شدة والظلام هنا دامس حتى إنه أصبح من المستحيل علينا مواصلة طريقنا هيا بنا لنكتشف المكان .

سرعان ما اكتشف أن المبنى الذي أعجب به لم يكن سوى كوخ عتيق مصنوع من الخشب . ولم يكن بالتأكيد في حالة جيدة ولكن بقليل من

الخيال وكثير من المجهود يمكن استخدامه . همست وهي ترتجف:

- إن هذا المكان مأوى الخفافيش .. وإنني أخاف لدرجة الموت من العناكب والثعابين يا "كلارك"

- ابقي إذن هنا أنت و"ميري" حتى أستكشف المكان .

وافقته بهزة من رأسها وناولته ولاعة السجائر لتسهل عليه المهمة . بينما كان يفتش الكوخ انتظرت في صبر نافد نداءه عليها بدت الدقائق بالنسبة لها ساعات . وعندما وصلها بعد فترة صوت تحطم من داخل الكوخ فزعت وهلعت من فكرة وقوع حادثة . ولكن قبل أن تستطيع التدخل ظهر "كلارك" في مأوى الذئاب عند عتبة الباب صاح وهو يشير إليها أن تتبعه :

- إنه ليس قصرا بالمعنى الصحيح ولكنا سنكون فيه بمأمن من الذئاب ؟

- ذئاب؟ هل سمعت ذئابا؟

- لا .. إنني أمزح .. إذن ما رأيك؟

بالتأكيد كان من الواضح أنه ليس قصرا ولكن النيران المشتعلة في المدفأة والمراتب المرصوصة أمامها خففت في الحال مخاوفها .. لم يتردد "ميري" لحظة واندفع نحو المدفأة وتكور وسرعان ما نام .

قالت "جايل" وهي تقترب من النيران :

- رغم كل ما فعله هذا اللعين فإن ضميره مستريح. على أية حال يجب ألا تشكو فقد كان من الممكن أن يكون الأمر أسوأ من هذا . ولحسن الحظ لدينا على الأقل ما يدفئنا ومكان يؤوينا في الليل . يالها من أمسية ! إنني منهكة تماما بعد هذا التعب وهذا البرد لم أعد أحس

www.tanawyna.com

باطرافي.

قال لها "كلارك" :

- أعتقد أن الوقت حان كي أعتني بك . فبعد عملية تدليك ممتازة ونوم مريح ستصبحين في كامل صحتك ولا تنسي أن مهنتي تعلمني أيضا التدليك.

- ولكني أحذرك إنني لست من أفراد فريقك .

انهمك في مهمته بمهارة شديدة وأحست بالارتخاء والنعاس . هزها فصاحت :

- ماذا هناك؟

- أتتصورين أننا بمفردنا؟!

- وماذا في ذلك؟

- لأول مرة لا يكون معنا أحد سوى الحيوانات التي يسعدها أن تلتهمنا بدلا من أهل البلدة .. نحن بعيدون عن أصدقائنا الأعزاء من "برادل"، وبعيدون عن نظراتهم الوقحة ونصائحهم العقيمة.

- يا عزيزي المسكين . أحس بأن نظرتك متشائمة حول أهل المدينة الطيبين وحول الحياة في الريف. صحيح أنه من الصعب الهروب من الجيران . ولكن من ناحية أخرى على عكس المدن الكبرى لا يحس المرء أنه معزول عن جيرانه . عندما يواجه أحدنا مشكلة ما يجد دائما من يمد له يد المساعدة ، وهذا في حد ذاته ميزة كبرى .. ألا تظن ذلك؟

لم يرد عليها "كلارك" وبدا عليه عدم الاقتناع. أحست فجاة بفراغ شديد... من الميؤوس منه أن يفكر في الإقامة في بلدتها بصفة دائمة ومن المستحيل أن تغادرها هي. إنه فراغ لا تستطيع أن تنكره وتحسه الآن حتى قبل أن يرحل "كلارك" : كم تعشق لو اتحدت معه قلبا وقالبا.

عندما نظرت إلى عينيه أحست بالنار التي تشتعل داخلها وداخل نفسه وشعرت بارتجاف نبرة صوته:

- أنت تفهمين يا "جايل" أن اللعبة انتهت .. من وقت بعيد.

لم تصدقه وهي تتامل وجهه . طوال الفترة منذ لقائهما حتى الآن وهي تخشى هذه اللحظة التي كانت تطاردها كالكابوس ولكنها فجاة قرأت في عينيه غير ما توقعته .. لقد توقعت أن تكون هذه لحظة قطع العلاقة بينهما.

ولكنها رأت عكس ما توقعته .. إن الحب الشديد يملأ قلبه وإنه على استعداد لأن يتخلى عن أي شيء في سبيل حبها . ارتجفت أمام اكتشافها غير المتوقع.

كان حلم "جايل" الذي لا يكف عن التردد على ذهنها ليل نهار سيتحقق وشعرت فجاة بأن حياتها كلها ستكون بين يديه.

ظلا وقتا طويلا في حالة حب وهيام دون أن ينطق أي منهما بكلمة وأخيرا قطع "كلارك" الصمت:

- يا صغيرتي ! لقد كنت في الماضي أجد صعوبة في النوم وأحيانا أستيقظ وسط الليل وأسمع قلبي يصطدم بصدري بعنف مجنون وأحس فجاة أنني وحيد في العالم . وتلك العاطفة الرهيبة بالوحدة والفراغ غادرتني فجاة في اليوم الأول الذي قابلتك فيه خاصة تلك اللحظات السعيدة التي قضيناها عند البحيرة. انهمرت الدموع من عيني "جايل" ... إنها ستريحه وتطمئنه بقلبها وبحبها وتمحو كل ذكرياته المؤلمة.

الفصل الثامن

في صباح اليوم التالي كان على "جايل" أن تبذل جهدا حتى تستطيع أن تفتح مقلتيها . نظرت حولها وعيناها شبه مغلقتين وكانت رائحة الرطوبة تملأ المكان وبعض الرماد يطير وسط الضوء المتسلل من فتحة واسعة في الجدار . عندما رأت الفجوة في الجدار استيقظت تماما بعد أن تذكرت حادثة الأمس . حاولت النهوض ولكنها وجدت صعوبة . كان "كلارك" نائما على أرضية الكوخ وعيناه مغلقتان قال لها:

- لا تتحركي!

ردت عليه في فزع :

- لماذا ؟

تصورت نفسها محاطة بالثعابين المستعدة للقفز عليها . نظرت إليه في صبر ومتوسلة أن يشرح لها ولكن "كلارك" ظل صامتا وهو يتأملها

ثم قال :

-إنني امنعك من أن تتركي السرير قبل أن انهض .

- ولماذا ؟

- حتى لا تدوسيني.

أحست "جايل" بالارتياح وأطلقت زفرة طويلةثم استعادت صفاء ذهنها وحدجته بنظرة ثائرة .

- في يوم من الأيام...

قاطعها :

- انا لا أحب أن أؤجل شيئا لما بعد وعلى أية حال لقد وجدت صعوبة في أن انام وظللت ساعات اتطلع إليك . إنك لا تكفين عن الابتسام في نومك. فما الذي يجعلك تبتسمين هكذا ؟

لمعت عيناها الخضراوان ببريق غريب:

- ليس هناك ما يثير الضحك .. إنها نفس الأحلام التي لا تكف عن مطاردتي في كل الليالي .

تجهم وقال :

- آه .. حسنا ؟ الا تريدين أن تقصيها علي ؟

- حسنا .. في الحقيقة .. انا لم اقل لك: إنني أرى كثيرا من الأحلام المثيرة في الوقت الأخير.

ظل "كلارك" فاغرا فمه دهشة ثم ابتسم ابتسامة عريضة وقال :

- أحلام عاطفية أيتها الأنسة "جايل". منذ متى وانت تحلمين تلك الاحلام العاطفية ؟ لابد أن اعرف بصفة قاطعة إذا كنت مثل اغلب النساء تعانين عقدة "أو ديب" أم انك ببساطة تطاردك أحلام المراهقات .

وهن يحتضن وسائدهن من ريش النعام .

- إن وسائدي محشوة بالإسفنج الصناعي . يبدو أن علي مراجعة نظريتي بالكامل . ألا تعتقد أيها الطبيب النفسي خليفة "فرويد" أنه في حالتي فإنني أعاني عقدة "كلارك"؟ لأن هذه الأحلام بدأت بعد تلك الأمسية الأولى عند البحيرة.

لم يجب "كلارك" وإنما اقترب منها وظل ينظر إليها طويلا في هيام وعشق.

***

ظلا معا ساعات وهو لا يجرؤ على تركها وكأنه يخشى أن تهرب منه. ربت كتفيها في حنان .

- لدي رغبة أن أظل هنا للأبد وأن أحبسك في هذا الكوخ معي وأن أحبك ليلا ونهارا.

اعترفت له وهي تضغط على يده بيدها:

- وأنا كذلك يا "كلارك" ولكني أخشى أنه لابد لنا من العودة إلى الواقع.

- الواقع ؟ أغلق عينيه ولكنه عندما عاد وفتحهما لم يعد نفس الشخص . حدجها بنظرة غاضبة :

- نحن نعيش الواقع يا "جايل" . لماذا ترفضين الاعتراف ؟ لماذا لا تفتحين عينيك وتريني ؟ أنا هنا موجود يا "جايل" بالقرب منك . ألا تحسين بضربات قلبي .. لماذا يا "جايل" ؟ من فضلك وارجوك أن تتقبليني !

سكت وهو لاهث الأنفاس . نظرت إليه وهي مضطربة لقد جرحته في

أعماق نفسه. لماذا لا تعرف إصلاح الجروح التي سببتها له دون إرادتها . قالت :

- اعذرني يا "كلارك" من فضلك إنني لا أحاول ..

قاطعها فجاة وقد غطت عينيه سحابة من الحزن .

- لا .. لا تقولي شيئا . ليس هناك شيء .. لا تقلقي على أية حال الأمر كله خطئي ولم يكن من حقي أن أحدثك .. إن الأمر مبكر .. مبكر جدا على الحديث .

- من فضلك يا "كلارك" ..

أحست فجاة بأن العالم توقف عن الدوران حولها أمام الابتسامة المشرقة التي علت شفتيه فجاة.

همس وهو يساعدها على النهوض من الفراش؟

- فيما بعد .. أعدك بأن أحدثك في ذلك يوما ما. أما الآن فمن الأفضل أن نعثر على السيارة ونعود إلى "برادل" قبل أن يرسلوا الشرطة في أعقابنا .

- يا إلهي ! لقد نسيتهم .. هؤلاء .. تماما!

قال ضاحكا :

- وأنا واثق بانهم لم ينسونا .

استكملا ارتداء ملابسهما وخرجا من الكوخ على عجل تاركين ملجأ حبهما الأول . لم يتاخرا في الخروج بصحبة الكلب "ميري" بحثا عن السيارة سارا فترة قبل أن يعثرا على طريق قديم تغطيه الأشجار على جانبيه وارضيته مغطاة بالعشب. لم يسبق لهما أن شاهداه أمس بسبب الظلام والعاصفة الممطرة: قال "كلارك" معلقا وهو يمسك

بوسطها:

- أتعشم ألا تكون السيارة اختفت أثناء غيابنا. لو كنت أعرف أن "ميري" كانت لديه النية في الانطلاق وراء الصيد لأحضرت معي أقفالا وحبسته في السيارة حتى لا يغادرها . على أية حال ربما لو ساعدنا الحظ..

قطع كلامه وهو يشاهد سيارته الـ"كاديلاك" مركونة على جانب الطريق . بالضبط في نفس المكان الذي تركها فيه ليلة أمس . بعد دقائق كانا يقطعان الطريق إلى "برادل".

عندما اقتربا من البلدة بدأت "جايل" تقلق وهي تتساءل:هل أصدقاؤها على علم بما حدث وبمسألة هروبها؟قالت في نفسها ليطمئن قلبها: " إن الوقت لا يزال مبكرا وإن أحدا لم يلاحظ غيابها ". حيث "كلارك" باقتضاب أمام باب بيتها ووعدته بأن تتصل به تليفونيا في أقرب وقت ممكن ثم حملت "ميري" بين ذراعيها واتجهت على أطراف قدميها نحو مدخل البيت . لم يكن في الشارع أحد قط وخلف النوافذ لا أحد يتلصص . أطلقت زفرة ارتياح وفتحت بابها ثم عبرته . بدأ جرس تليفوني في الرنين.

فيما بعد أثناء النهار قرر "كلارك" أن يقوم بزيارة "جايل" . مع انتشار الإشاعات في البلدة حول هروبها لابد أنها الآن كقط على سطح من الصفيح الساخن . أبطأ من سرعة سيارته وصعد درجات الشرفة الأمامية وهو يحاول أن يتخيل ماذا سيكون رد فعلها . وقف فترة أمام المدخل واستعد لطرق الباب . عندما انفتح فتحة مواربة جرت في البداية نحو النافذة وألقت نظرة على الشارع . ثم أصيبت بالهلع

وعادت لزائرها . همهمت وهي توشك أن تجن:

- أوه يا "كلارك" .. إنهم على علم .. ماذا سنفعل؟ إن كل البلدة على علم بهروبنا ليلة أمس .

لم يرد عليها "كلارك" . وماذا يمكنه أن يقول ؟

وفي حالتها هذه لن تستمع إلى كلامه . ظل يتأملها وعلى شفتيه ابتسامة واهنة.

أغمضت عينيها لحظات ثم فتحتهما مرة ثانية.

وقد بدا عليها الرعب . قالت في تلعثم :

- وهذا ليس كل شيء . إنهم في منتهى السعادة يا "كلارك" ولا يكفون عن إمطاري بالأسئلة.. تصور!

- اهدئي يا "جايل" ... من فضلك!

لابد أنه بذل جهدا جبارا حتى يمنع نفسه من الضحك ولكن اللحظة ليست مناسبة قال وهو يحاول مواساتها:

- الأمر ليس خطيرا .

ولكن لا جدوى من المحاولة . لقد بدت "جايل" اليوم وهي غير مستعدة نفسيا للاقتناع بسهولة . رفعت رأسها بحدة وحدجته بنظرة عدم تصديق:

- ليس خطيرا ؟ أنت لا تفهم .. إنهم يسألوني إن كنا قد حددنا موعد الزواج.

وافق في هدوء:

- نعم . أعرف ذلك.

أمام رده انهارت وألقت بنفسها على صدره. همهمت:

www.alwaraq.com

- إنهم لم ينسوا كما يبدو لي . ولا بد أنهم سألوك.

- أوه .. إنهم لم يتجاسروا .. أنت تعرفينهم .

سألته وهي ترفع عينيها نحوه :

- وبماذا أجبتهم ؟ إنني لا أعرف ماذا أقول .. إنني أرى أن لديهم النية المبيتة الا يتركونا في حال سبيلنا . لقد أمطروني بالأسئلة حتى إنني هرعت إلى بيتي وحبست نفسي فيه بعيدا عن وجوههم المشرقة سعادة.

ابتسم "كلارك":

- يا عزيزتي المسكينة!

سكت وعندما طال سكوته بدأت "جايل" تتساءل عما يمكن أن يكون قد أخفاه عنها. كررت السؤال :

- "كلارك" .. بماذا أجبتهم ؟

- حسنا .. لقد أجبتهم أننا لم نحدد بعد التاريخ لأنني أريد أولا أن أدع الوالدين يعرفانني بصورة أحسن.

- كيف .. إنني لا أفهم؟

تراجع قليلا وهو يرى عينيها تزدادان قتامة وأحس بعاصفة الغضب على وشك الهبوب .

- هيا .. اهدئي !

فحت كالحية من شدة الغضب:

- وكيف أهدأ ؟ ولكن ما الذي ألم بك يا "كلارك" !

وكيف تجرأت وقلت مثل هذا الكلام ؟ ألا تعتقد أننا فرحنا وضحكنا بما فيه الكفاية ؟ إنك في نهاية العام الدراسي سترحل وأنا .. أنا ...

أكون هادئة .. جدا . والآن لو تكرمت وشرحت لي لماذا فعلت هذا إذا كان هذا لا يضايقك بالتأكيد .

- أنا لا أمزح يا "جايل" ولم أقل إلا الحقيقة .

تسمرت في مكانها أمام رقة كلامه وجديته . أرادت أن تتكلم . ولكن لم يخرج من حلقها أي صوت . قال :

- منذ أول يوم للقائنا بذلت كل ما في طاقتك حتى تمنعيني من الدخول في حياتك . ولكن لم أستسلم قط يا "جايل" ! أنا داخل حياتك شئت أم أبيت ولدي نية أن أظل فيها .

احتجت وهي تهز رأسها بشدة:

- لقد أصبت بالجنون يا "كلارك"! ولا تعرف ما تقول:

تدخل وهو يمسك بوجهها بين يديه:

- افتحي عينيك إذن يا "جايل" من فضلك .ألا ترين أنني أحبك؟ وأنني أريد أن أتزوجك وأن أحتفظ بك بجواري طوال الحياة؟ أنت شعاع أمل لي . وبفضلك تغيرت حياتي وأصبحت في النهاية رجلا راضيا وسعيدا . إنك خلال شهرين أعطيتني أكثر مما كنت أطمع . لقد منحتني طعم الحياة . أرجوك أن تقبلي يا "جايل" .. قولي نعم!

اضطربت وأغلقت عينيها وهي تدع كلماته تخترق قلبها وروحها. كانت في حالة يرثى لها حتى إنها لم تستطع أن ترد عليه.

بدأت سعادة لا نهائية لا تنتج إلا عن الحب تخرج من قلبها المفتون . ونسيت لحظات كل هواجسها ووساوسها وغرقت في هذه السعادة غير المتوقعة . ولكن هواجسها لم ترغب في فك حصارها حول الشاب. ثم ما الفائدة ؟ لابد أن تصل حتى النهاية.

www.rewayna.com

فتحت جفونها بصعوبة ورفعت عينيها نحو "كلارك":

- اوه يا "كلارك" كم انا سعيدة واحس بغصة في حلقي ولكن...

- لا أريد كلمة " ولكن" هيا قولي لي: نعم.

تنهدت وهي تهز رأسها :

- أنت لا تفهم . انا لست بمفردي يا "كلارك" هناك ايضا الطفلان . وانت لا تعرفهما.

- قال لها خطأ ما تقولينه انا اعرف "جيف" بالفعل . لقد تناقشنا كثيرا في أثناء الرحلة الكشفية واعتقد اننا سنتفاهم جدا، وأنا واثق بانني لن اجد مشاكل مع "بريني" .

وقالت له وهي تحك رأسها وتفكر في شرود:

- إن المشاكل مع الطفلين لا تنتهي . وانت في نظر "جيف" بطل مشهور اكثر من والده .. والأمر مختلف جدا . ففي اليوم الذي ستأمره فيه الا يقفز من فوق شونة الغلال سينسى في الحال مكانتك المرموقة .

أخذ يتاملها بإمعان فترة طويلة قبل ان يرد:

- أتمنى ذلك هل تعتقدين انني احتاج إلى اسم شهرتي حتى انجح في القيام بدور الأب.

هاهي للمرة الثانية ترتكب نفس الغلطة . لقد وجدت طريقة جديدة لتجرح شعوره دون تفكير ورغما عنها . رغم ما بذله كي يخفي المه إلا أنها رأت انه يتعذب . أحست بوخز مؤلم في قلبها ودت لو مدت له يدها. كيف يمكنها أن تظل جامدة المشاعر نحو المه .. إنها تحس انها قريبة جدا منه.

اقتربت "جايل" منه ولفت ذراعيها حول وسطه :

- انا آسفة جدا . ليس هذا ما كنت أريد أن أقوله وفي الحقيقة أنا مقتنعة بانك ستنجح في كل ما تنوي عمله ولا بد ان أحذرك على اية حال من انك ستلقي بنفسك في عمل ليس بالهين . هل انت واثق برغبتك في الاستمرار؟

- انا مستعد يا "جايل" . ولكن ماذا عنك؟ هل انت مستعدة أن تمنحيني فرصة ؟ هل يمكنك إزالة مخاوفك حتى أستطيع أن اتعود الفكرة وعلى وضعي الجديد.

مخاوف؟ لم يعد لديها مخاوف . إنها تعرف بالضبط ماذا ينتظرها . أما هو فليست لديه فكرة على الإطلاق. لا شك أن "بريني" و"جيف" سيسعدان بأن يصبح "كلارك" والدهما . وليست هناك مشكلة من هذه الناحية . ولكن هل "كلارك" نفسه على استعداد للتأقلم بسهولة مع دوره الجديد ومع الصعوبات التي تمثلها الأسرة؟

اطلقت "جايل" زفرة طويلة . إنها غير قادرة على العثور على إجابات لهذه الأسئلة مادامت لم تسمح له بالدخول في حياتها . إنه يستحق أن تتيح له فرصة وهو أحق الناس بهذه الفرصة . قالت :

- انا مستعدة يا حبيبي وفارسي .. مستعدة لكل شيء.. إذن بماذا نبدأ؟

صاح في جذل.

- أولا نبدأ بالذهاب لإحضار الطفلين.. ليس لدينا ما نضيعه من وقت.

قرن القول بالعمل فبعد بضع دقائق جلسا في سيارته "الكاديلاك" وانطلقا في اتجاه مزرعة والدي "جايل" . قالت له وهي تحدجه بنظرة:

- أخيرا واتتك فكرة طيبة . فمع الإشاعات الدائرة في "برادل" من يدري إن كان والداي قد علما بالفعل بهروبنا بل ربما تحدثا عنه لـ"جيف" و"بريني".

- وهل يضايقك هذا؟

- لا . وعلى أية حال لابد أن يعرفا ذلك اليوم أو في أي يوم آخر . ولكني أفضل أن نعلنهما بذلك بنفسينا .

- نعم الحق معك . لقد كنت مرعوبا من مقابلتهما ثم ماذا لو لم يريداني زوجا لك؟

- لا تقلق كل شيء سينتهي بخير . أنت تعرف أن الأطفال مثل الحيوانات إنهم لا يرفضون أبدا هؤلاء الذين يحبونهم . وسيكتشفون بسرعة أنك شخص لا مثيل لك.

- ربما من الأفضل ألا نقول شيئا ونمنحهما الوقت ليعرفاني جيدا .

ردت عليه :

- أنا متفقة معك في هذا . وهكذا تصبحون أنتم الثلاثة أقل توترا وأحرارا من كل قيد. وسنتحدث إليهما عندما يصبح الجميع مستعدا .

- وماذا عن والديك ؟ وماذا سيكون رد فعلهما؟

قالت وهي تضحك:

- أمي ستكون مسرورة بالتأكيد . ثم إنها كانت دائما تريد رجلا يقف بجوار المرأة ويفي بحاجاتها وتساعده.

- إنها محقة .. ألا تظنين ذلك.

قالت وهي تمزح ضاحكة:

- آسفة لمخالفتك في الرأي . إنني أستطيع أن أفي بحاجاتي بمفردي

أما فيما يتعلق بمساعدتك فقد شاهدت ليلة أمس كم أنت قادر على كل شيء وإنك لن تكون عونا لي بأي حال .

- أما أنا فأرى أنني أستطيع التصرف على خير وجه وماذا عن رأي والدك؟

- هو من النوع الذي يفضل الحرص . إنه عادة يثق بي ولكنه ربما يفضل أن يتاح له الوقت الكافي للدراسة لمعرفتك قبل أن يدلي برأيه ثم ربما لا يعرفان شيئا عما جرى .

عندما عبرا مدخل المزرعة فهمت "جايل" في الحال أن إشاعات "برادل" قد وصلت إلى آذان والديها، كانا واقفين على عتبة الدار في انتظار وصولهما . قطب والدها حاجبيه أكثر من المعتاد . أما أمها فقد وجدت صعوبة في كتم فرحتها .

وعلى العكس كان ابناها لا يعلمان شيئا عن الموضوع . واندفعا بعفوية بريئة نحو "جايل" و"كلارك" ليحييهما ولم تلاحظ أي نوع من الضيق في تصرفاتهما. بعد ذلك ابتعدت قليلا وراقبت مسلك "كلارك" نحو والديها ونحو "بريني" و"جيف" لم تلاحظ أي إشارة تدل على التردد لا في حركاته ولا في تصرفاته وخمنت في الحال أنه يبذل جهدا جبارا ليخفي عصبيته.

عندما تمت عملية التعارف قبل الطفلان دون أي معارضة أن يعدا امتعتهما ويحزماها . أما الآخرون فقد اتخذوا أماكنهم في الصالون وكل منهم يتأمل الآخر بإمعان فترة طويلة . قال الأب في تبرم:

- حسنا يا "كلارك" . ما رأيك في وظيفتك في "برادل" ؟

إن الحياة ليست دائما سهلة في بلدان الريف الصغيرة.

ابتسمت "جايل" بينما شدد "كلارك" قبضتيه على مسند مقعده. ها هو الاستجواب قد بدأ!

أجاب الشاب وهو يشعر بجفاف ومرارة في حلقه:

- لقد أوكلوا لي مهمة صعبة . ولكني قررت أن أبذل قصارى جهدي لانجح . أما بالنسبة لي فإنني قد تاثرت كثيرا بمدى البساطة والرقة التي لدى سكان "برادل".

وافقه الأب على كلامه بهزة من رأسه:

- وماذا تنوي أن تفعل فيما بعد في نهاية السنة الدراسية؟

- أوه .. حسنا ..

تردد "كلارك" وهو لا يدري ما يقوله . قررت "جايل" أن تهب لنجدته انطلقت في الضحك ثم جلست بجوار والدها وطبعت قبلة على تجاعيد جبهته .

- لا تتاثر يا "كلارك" بكلام أبي . في الحقيقة هو يريد بوجه خاص أن يعرف إن كنت ستتمكن من أن تجلب لي الرفاهية التي تعودت عليها على مر الأيام.

تدخل والدها وقال في لهجة لوم:

- "جايل" ! إنني لم أقل هذا الشيء قط .

قالت تعقيبا على كلامه وهي تبتسم في حنان:

- أعرف ذلك ولكني أعرف أيضا انك فكرت في ذلك وأرى أن كليكما يفكر في نفس الشيء دون أن يجسر أحدكما بالحديث عنه، ولا داعي للف والدوران .

لقد قررت انا و"كلارك" الزواج . ولكننا لا نرغب في قول شيء حول

ذلك للطفلين حاليا . نريد أن يأخذا وقتهما الكافي لمعرفة "كلارك" قبل أن نعلنهما بالخبر.

نظر "كلارك" مرة إلى الأم ومرة إلى الأب وهو يحاول أن يستشف ما يمكن أن يهدئ من مخاوفه .

قال في خجل :

- إنني افهم انكما فوجئتما لأن كل شيء حدث بسرعة واتعشم أن تكونا سعيدين من أجلنا .

أعلنت "سالي" ووجهها مشرق من السعادة:

- إن سعادة "جايل" هي التي تهمنا قبل كل شيء.

تحول "كلارك" ناحية "چون فيشر" لينتظر حكمه:

- وانت يا سيد "هولكومب" ما رأيك؟

نظر الأب إلى ابنته طويلا قبل أن يقرر الكلام :

- إن حياتها دون شك ستتغير معك . أنت غني ومشهور فحاول الا تبعدها عنا .

أخذ "كلارك" نفسا عميقا قبل أن يرد:

- لا تقلق . إن "جايل" تعرف ماذا تفعل ومن هي وليست لدي أية نية لتغييرها.

ارتاح الأب من كلمات "كلارك" نهض من مكانه واقترب من عريس ابنته .

- لقد حان الوقت أن ننادي بعضنا بعضا باسمائنا المجردة ومن الآن انا متمسك أن تناديني "چون" وكبداية سنشرب عصير التفاح الذي تقدمه لنا "سالي" في المناسبات الكبرى واحتفالا بهذه المناسبة

www.rewity.com

السعيدة.

عندما دخل الطفلان لم يهتما بالسعادة المنتشرة بين أرجاء الحجرة فقد كان لديهما ما هو أهم . نادت "بريني" أمها لتريها ثوبها الجديد و"جيف" من ناحيته أراد من "كلارك" أن يشاهد خنزيره الجديد وعندما تبعه رأى الحيوان خلف السياج في تحويطة الخنازير صاح في دهشة:

- إنه رائع .. ثم إنه أكبر منك في الحجم .

انفجر "جيف" ضاحكا:

- لقد أقسم لي جدي أنه أجمل المواليد.

- وأين إذن خنزير "بريني"؟

لم يجب "جيف" في الحال ونظر بعيدا واختفت ابتسامته:

- لقد مات من أيام قليلة.

خرج بعد ذلك من حظيرة الخنازير ثم جلس بعيدا تحت جذع شجرة تبعه "كلارك" في الحال ثم جلس بجواره ثم قال له هامسا:

- أنا آسف يا "جيف" .. لابد أن "بريني" حزينة.

- نعم إنها لم تكف عن البكاء . وقد اتصلت بها أمي في أحد الأيام لتواسيها . وقد نسيت حزنها شيئا فشيئا . واعتقد أنها عندما رأت الخنزير غير متحرك تذكرت موت أبيها.

- وأنت كذلك يا "جيف"؟

- المفروض نعم . خبرني يا "كلارك": لماذا يجب أن يموت الناس؟

أحس "كلارك" بأن قلبه يقفز من صدره . ماذا يفعل ؟

وكيف يجد ردا على هذا السؤال ؟ قال ببطء :

- ليس الأمر سهلاً وأعتقد أنهم حدثوك عن الله وعن مشيئته وعن

والدك وعن الجنة .. أليس كذلك ؟

- بلى لقد أخبرتني والدة "هاري" أن أبي صعد إلى السماء لأن الله ناداه .. ولكن...

- هذا صحيح ولكن هناك أمور تخص الحياة لن تستطيع أن تفهمها إلا عندما تصبح ناضجا أو قد لا تفهمها أبدا لأنها من أسرار الكون وأنا نفسي لا أستطيع الإجابة عليها.

ظل الصبي صامتا وهو يرسم بعصاه على الأرض أشكالا ثم رفع وجهه وهو مقطب.

أحس "كلارك" بانه فشل في الاقتراب من الصبي وأنه لا يعرف شيئا عن الأطفال ومتاعب التعامل معهم وعندما رفع عينيه لأعلى رأى "بريني" تجري نحوهما . سار نحو الفتاة هو و"جيف" وهو يحس أنه لم يسبق له أن واجه مثل هذا التحدي . كانت "جايل" تلقي نظرة على هذا المشهد من نافذة المطبخ وقفز قلبها فرحا وهي ترى الثلاثي يسير ببطء في الفناء و"كلارك" ممسك بيد الصغير "جيف" ويصحبه ثم فزعت عندما سمعت صوت أمها وراءها مباشرة:

- يبدو عليهم الانسجام معا .. إنني لا أعرف عن "كلارك" إلا أقل القليل ومع ذلك أحس أنه شخص مميز.

بعد ذلك جلست أمها أمام المائدة لتعد العشاء اقتربت "جايل" منها وركعت على ركبتيها بجوارها:

- آه لو علمت يا أمي... إنه هو أيضا يعتقد أنني مميزة.

- أنت مخطئة يا أمي فلست سوى امرأة مثل بقية النساء .إنني خائفة جدا .. لم يسبق لي أن أحببت رجلا بمثل هذه القوة وأخاف أن

افقده .. ولكني أسال نفسي. هل ساقدر في يوم ما ان امنحه كل ما ينتظره مني ؟ إنني أخشى أن أصيبه بالخيبة .

- كفي عن قول هذه الحماقات ولا تسالي نفسك كل هذه الأسئلة وافعلي ما يمليه عليك قلبك.

وإذا اراد منك ان تكوني مميزة فستكونين كذلك.

- ولكن كيف ؟ من سيعلمني ما يجب علي ان افعله حتى اصبح تلك المخلوقة المميزة التي تراها عيناه؟

- انت نفسك وبمفردك يا"جايل" . وخاصة لا تحاولي" ان تتغيري وابقي كما كنت دائما يا "جايل فيشر" . لانه يحب "جايل فيشر" على ما هي عليه.

- أوه يا امي!

صمتت عندما دخل "كلارك" الحجرة . والتقت عيونهما لحظات وفي الحال أضاء مرح رائع عينيه وعلمت ساعتها انها ستبذل كل ما في طاقتها للاحتفاظ به .

الفصل التاسع

استطاع "كلارك" و"جايل" في الأسبوع التالي أن يرتاحا من نظرات جيرانهم الوقحة ومن أقاويلهم. كان الجميع مشغولا بترتيبات اجتماع الرواد الأوائل وليس لديهم وقت للانشغال بهما . وفي هذا الاحتفال السنوي يجتمع أهل البلدة حول المهرجانات والمسابقات والألعاب من كل نوع وصنف .

أحست "جايل" بالسعادة لحصولها أخيرا على فترة من الراحة حتى تركز تماما على "كلارك" وقد قضيا أوقاتا طويلة معا وبصحبة الطفلين وكان "جيف" و"بريني" قد بدأ يتقبلان وجوده بسرور وكثيرا ما كانا يطالبان بحضوره بعد أن يغادر البيت .

وفي ليلة العيد السنوي للرواد الأوائل حضر "كلارك" إلى بيتها وقابلته بروح مضطربة . نظرت إلى ابنتها حانقة وقالت لها بلهجة

www.zahwana.com

حادة:

- اذهبي إلى حجرة "جيف" وحاولي العثور على بنطلونك .

أجابت الطفلة بصوت يصم الآذان :

- ولكن يا أمي ! إنني لا أستطيع أن أدخل هناك..

رفعت "جايل" عينيها إلى السماء ثم ادارت ظهرها إلى "كلارك" وأرادت الذهاب لمساعدة ابنتها ولكنه منعها وهو يمسك بذراعها وسألها :

- مذا جرى؟ ولماذا لا تستطيعين الدخول إلى الحجرة؟

- من الواضح أنك لا تعرف الحجرة جيدا .. إنها ملعب أو ساحة معركة حقيقية . وكل مرة أضع فيها قدمي أتساءل: هل ساخرج منها وأنا على قيد الحياة ؟ ابتسم "كلارك" وسألها برقة :

- وما المشكلة في هذا اليوم ؟ لقد اعتقدت أن الجميع مستعد للاحتفال وأعتقد أنك أخبرتني أن "جيف" سيرتدي بهذه المناسبة بنطلونا بحريا من أجل مسابقة الكمان؟

- نعم. ولكن مع "جيف" لا يمكن أن تعرف ما سيحدث : تصور أنه في آخر لحظة ذهب ليمزح مع الكلب "ميري" في حديقة الحيوان .. وتصور حالة بنطلونه الذي لم يعد يصلح إلا لصندوق القمامة.

ظل "كلارك" صامتا وهو يفكر : كم هي جميلة وفاتنة وكم يحبها وصورتها تطارد خياله ليلا ونهارا. ارتجفت وهي ترى اللهفة بادية في عينيه وعندما فتح عينيه قالت :

- أوه يا "كلارك"، إن هذه المشاكل مع الطفلين لا تنتهي ولن تتيح لنا الوقت لنتمتع بحبنا .

- أعرف ذلك ولكن صدقيني: إننا سنتاقلم معهما بعد أن نتيح لهما الوقت الكافي لتحقيق ذلك.

هزت رأسها موافقة واستسلمت لهذا الأمل الجديد وأفاقت عندما سمعت صرخة "بريني" التي أعادتها إلى الواقع :

- تعالي بسرعة يا أمي!

استدارا بسرعة نحوها حيث كانت تهبط الدرج وهي مرعوبة وجرت نحوهما تلعثمت الطفلة في هلع :

- هناك شيء ما تحت سريره .. وهو يتحرك .

أصاب الخوف "جايل" ونظرت فيما حولها ثم نظرت لساعتها وشعر "بريني" الذي بدا وكأنها خرجت لتوها من المعركة ماذا تفعل ؟ لم يبق إلا القليل من الوقت . قالت بسرعة لـ"كلارك" :

- خذ هذه الفرشاة واعتن بـ"بريني" وإذا لم أخرج من حجرة "جيف" بعد ساعة فاستدع رجال المطافئ .

فحص "كلارك" فرشاة الشعر وكأنه يراها لأول مرة ثم نظر للبنت الصغيرة وهو ينتظر أية إشارة للبدء.

ابتسم لها وجلس على مقعد وناداها قائلا:

- حسنا يا "بريني" ما رأيك في كحلاق للسيدات ؟ سترين مدى كفاءتي ..

ضحكت الطفلة وجلست القرفصاء عند قدميه وقالت:

- أنا مستعدة .

لم يعرف "كلارك" من أين يبدأ فأخذ يمشط شعرها مدة طويلة . على أية حال لقد فات أوان تجنب القدر.

- أنت عادة تمشطين شعرك جدائل يا "بريني"؟

- نعم عدا أيام الأحد لأن "ماما" ليس لديها الوقت لتعتني بشعري ولكننا اليوم السبت و..

- ويوم السبت هو يوم الضفائر يا "بريني"؟

حاول مرة ومرة ومرات أن يعقد الضفائر ولكن شيئا ما لا يسير سيرا صحيحا . وفي كل مرة لم تتساو الضفيرتان . ظل هكذا ربع ساعة. وهو يحاول بكافة الطرق الوصول إلى الحل دون جدوى. أخذت الطفلة تعاكسه قائلة:

- هل كنت تود أن تريني مدى كفاءتك كحلاق سيدات؟

- نعم .. ولابد أن أجد حلا باية طريقة .. خبريني يا "بريني": هل تعرفين فرقة موسيقى الروك التي تظهر فيها المطربة وقد عقدت شعرها على شكل ذيل حصان على جانبها؟

- نعم .. لماذا؟

- أليست لك رغبة في تجربتها ؟ إنها تناسبك.

لمعت عينا الفتاة مكرا وأجابته وهي تبتسم بهز رأسها:

موافقة . أحس في الحال بالارتياح بعد حصوله على موافقتها وبدا العمل في الحال . بين ضحكات الصغيرة وعندما انتهى من عمله ورأت الفتاة نفسها في المرآة أطلقت صيحات إعجاب . حبست "جايل" "جيف" في حجرته بعد أن نظفت بنطلونه وبعد أن قررت ألا تطلق سراحه إلا قبل مغادرة البيت مباشرة.

صاحت "جايل" وقد اتسعت عيناها لآخرهما:

- أوه يا "بريني" ! ماذا فعلت بضفائرك؟

ثم نظرت إلى المذنب الذي كان جالسا في مقعد بالقرب من النافذة وهو ينظر للخارج . تلعثم وهو يقول :

- إنها ليست غلطتي.

- أين ذهبت ضفيرتها .. إنها بهذا الشكل تشبه "لولينا". إنني لم أعد أتعرف عليها .

- اسمعي يا "جايل" لقد حاولت .. عدة مرات ولكن كان دائما ما يحدث شيء خطأ . وكلما زاد يأسي زاد ضحكها . لا شك أنها ظنت أنني أريد المزاح معها.

تجهم وجه الشابة . إنها لم تعد تتعرف على ابنتها .

- لا تشك شيئا ! من حظك أنك لازلت على قيد الحياة فمعي كان من المستحيل أن تصبر لهذه الدرجة لقد كانت تعتبر الأمر كارثة لو غيرت شعره من تسريحتها.

أخذت آلة الكمان الخاصة بـ"جيف" ونظرت حولها لتتأكد من أنها لم تنس شيئا . وقالت لـ"كلارك" :

- حسنا .. أعتقد أننا مستعدون .. هيا بنا.

وقفت عند أسفل الدرج ونادت "جيف" الذي حررته من سجنه و"بريني" وعندما حضرا سارعا بتسلق سيارة "كلارك" الضخمة واتجهوا جميعا إلى حديقة البلدة العامة حيث يعقد حفل اجتماع الرواد القدماء لبلدة "برادل".

قبل الوصول إلى المكان التفتت نحو ابنها لتنصحه :

- انصحك للمرة الأخيرة عندما يأتي دورك للعزف ألا تقلد "مايكل جاكسون".

انطلقت "بريني" في الضحك بينما أخذ "جيف" يزمجر.

- ولكن يا أمي هذه أكثر عزفي نجاحا .

• أعرف يا "جيف" ولكن الأمر يتطلب الكثير من العبقرية والبساطة. ولكن هل أخذت في اعتبارك أن معظم الناس هنا ربما لم يسمعوا عنه ولا عن رقصته الشهيرة" المشي على القمر"؟

عندما شاهد "كلارك" عدم رضا الصبي ابتسم متعاطفا معه تدخلت "بريني" وقد بدا عليها الرضا:

- أمك لا تستطيع أن تنظر إلى الكمان وإلى ما خلفك في وقت واحد لأنك دائما ما تتعثر في أي شيء وتقع وسط أنجح نمرك الاستعراضية.

وافق "جيف" أخيرا وهو مستسلم:

- حسنا.. موافق .. أعتقد أنني لست في حاجة إلى قفازي انفجر "كلارك" وهو يراه ينزع القفاز المصنوع من المطاط الذي أخذه من المطبخ وكتمت "جايل" ضحكتها حتى لا يسوء الموقف أكثر مما هو عليه .

عندما وصلوا مبكرين عشروا على مكان لوقف السيارة . بدأت مسابقة الكمان في الحال . وانتظر "كلارك" و"جايل" ظهور "جيف" في صبر نافد.

لعب ثلاثة أولاد قبله كل بطريقته وإن كان أداؤهم ممتازا . وعندما جاء دور "جيف" ظهر أمام الجمهور على فمه ابتسامة ساحرة وعريضة. ألقى "كلارك" حوله نظرة ليرى رد فعل المتفرجين ولاحظ في رضاء تام أن جميعهم كانوا مبهورين من حماسه اقترب "جيف" من الميكروفون والصق كمانه تحت ذقنه ثم حيا الجمهور قبل أن يبدأ

استعراضه كان يلعب بكل قلبه وجسمه . كان "كلارك" مفتونا ولم ينزع عينيه من على الفنان . كان الفتى من الناحية الفنية أقل ممن سبقوه ولكن أداءه كان مرحا وحيويا حتى إن أخطاءه مرت دون أن يلحظها أحد. انطلق التصفيق والهتاف عندما انتهى من لحنه .

في نهاية المسابقة منح القضاة "جيف" الجائزة وأخذ العديد من الناس يهنئون "جيف" على عرضه الفريد. أمسك الصبي بيدي "كلارك" و"جايل" وقادهما إلى منصات بيع الفيشار وغزل البنات وإلى مختلف الألعاب. وترك الشابان الطفلين يمارسان هواياتهما على حريتهما وبدأ يتجولان بمفردهما وعندما وقع بصر "جايل" على ابنتها مع صبي في سنها قالت :

- انظر يبدو أن تسريحة "بريني" الجديدة نجحت .

- ولكن ماذا تفعل مع هذا المخلوق الذي يرتدي أساور وسلاسل مثل المسجون الهارب .

- إنه "جيمي بوب سومرز" ابن مدير البنك وصديق "هاريسون" الحميم.

- أتقصدين ذلك الفتى الذي يحضر لي مشترياتي من البقالة؟

ولكن لماذا هذا الزي؟

- حتى يؤثر على الفتيات من سن "بريني".

هز "كلارك" رأسه في تعجب ثم انفجر ضاحكا .

انتزعهما تصفيق الجمهور من حديثهما وتأملاتهما. نظرت "جايل" حولها وهما فوق القطار الطائر ورأت أن عربتهما توقفت عند مستوى الأرض . كان كل سكان بلدة "برادل" يصفقون لهما وحاولت أن تختفي

تحت مقعدها ولكن "كلارك" منعها وأخذا يردان تحية الجمهور. ثم أجبرها على الوقوف معه ليزداد التصفيق حدة.

صحبها "كلارك" إلى منصة التنشين بالبندقية وراته وهو يأخذ بندقية من فوق المنصة ويبدأ في إطلاقها ونجح كما وعدها في الحصول على "فيل" مصنوع من القطيفة الوردية. أخذا يتجولان ثم التفتت إليه وقالت:

- يجب أن أهتم بـ"جيف" و"بريني" إذ عليهما أن يناما مبكرين وإلا فلن يلحقا بقداس يوم الأحد.

انطلقا بحثا عن الطفلين وسرعان ما انضمت إليهما الفتاة الصغيرة التي كانت تتناقش مع مجموعة من الأصدقاء أما الصبي فكان على العكس منها من الصعب إقناعه، كان مصرا على تجربة كل الألعاب قبل العودة للبيت وكان على "كلارك" أن يظهر الكثير من البراعة كي يقنعه بعكس ذلك.

بعد العودة للبيت ذهب الطفلان للنوم دون اية معارضة. تجول "كلارك" وجايل" قليلا في الحديقة وسط الهواء المنعش المعبق برائحة ورد "آد". جلسا على النجيل وأخذا يتمتعان بالسكينة بعد هذا اليوم المرهق والمثير. همس في أذنها:

- هذه أول مرة أحس فيها بأنني راض وسعيد.

- وأنا كذلك.

جاءهما صوت من البيت المجاور قطع عليهما أحلامهما. نهضا على مضض وسارا نحو البوابة. قال وهو يوجه كلامه إلى النافذة المضاءة:

-امرك يا سيدة "رابورت". إنني على وشك الرحيل.

قبل أن يرحل تجهم وجه "جايل" وسألته:

- ولكن ما الذي قالته؟

- اصمتي ولا داعي للأسئلة.. عليك فقط أن تطيعي!

ابتسمت له ثم تابعته بنظراتها إلى أن اختفى بسيارته.

www.7akawyna.com

الفصل العاشر

أخيرا جاء وقت العودة للدراسة ورغم السعادة التي أحستها "جايل" لعودتها للقاء تلاميذها إلا أنها ندمت في الحال على أيام العطلة . لقد ندرت لقاءاتها مع "كلارك" لانه استانف تدريبه ودروسه للطلبة. كانت تعتقد أن الوقت قد حان لإخبار الطفلين بالخبر السعيد . ولكن في كل مرة كان "كلارك" يطلب منها الصبر قبل اتخاذ هذا القرار الخطير . كانت تتردد في سؤاله عن سبب إحجامه ولكنه يحس بذلك عندما يراها تتامله أحيانا في قلق . ولكنها لم تكن تدري كيف تدخل في الموضوع.

كان "كلارك" و هو يسير في ساحة اللعب بالمدرسة التي كانت مهجورة يفكر في "جايل" وفي الأسابيع التي قضاها معها ومع الطفلين منذ أن طلب يدها للزواج وقد استطاع أن يتعرف على "جيف" و"بريني"

وارتبط بهما كثيرا وكان يتمنى من كل قلبه أن يصبح في يوم ما أبا لهما ولكن كان هناك سببان يمنعانه من التقدم في مشروعه: الأول أن "جايل" لم تقل له بصراحة: إنها تحبه. كانت غالبا نظراتها وابتساماتها تفيض حباله وهو يرى ذلك ومع ذلك كان الشك يعذبه . كيف يمكن أن يرتبط ارتباطا أبديا دون أن يعرف حقيقة مشاعرها ؟ والسبب الثاني يتعلق بعلاقته بالطفلين . إنه يحبهما كثيرا ويحس انهما يشاركانه عواطفه ولكنه لم يكف عن التساؤل: هل استعد فعلا لتحمل المسؤولية للقيام بدور الأب ؟

سار إلى القاعة وهو غارق في أفكاره . عندما لمح فجاة "جايل" عند الطرف الأخر من الدهليز وقف في الحال وهو مضطرب ثم استانف السير نحوها .

كانت "جايل" شاردة في أفكارها وهي تتقدم متبخترة منذ الصباح وهي لم تكف عن التفكير في "كلارك" وعن لقاءاتهما التي بدأت تقل .. كم تشعر بالشوق إليه ومع ذلك فهي تراه كل يوم في المدرسة في ساعات العمل الصباحية وفي البيت في المساء ولكنها لم تكن تستطيع الانفراد به. ففي المدرسة هناك المدرسون والتلاميذ وفي البيت هناك "جيف" و"بريني" وكلهم يعملون على عدم تحقيق هذا الأمل .

التفتت حولها ثم تسمرت في مكانها وهي ترى "كلارك" في مواجهتها . سالته وهي تغمز له بعينها:

- صباح الخير. كيف الحال ؟

- كما ترين! بالتاكيد نحن لا نجتمع معا بمفردنا ابدا ! هناك دائما شخص يتلصص على أقل حركة من حركاتنا . صديقاي في البيت

ومجموعة الغوريلا التي أدربها على الكرة ..

- هذه غلطتك ! إنك تعاملهم بمنتهى الرقة وطبيعي أن يبحث الناس عن مصاحبتك . إنني أحيانا احلم بانني ساخطفك فوق جوادي الأبيض وأحبسك في قصري ولا يحيط بنا سوى الخدم والحشم ونساء السلطان .

ضحكت وربتت شعره وهي لا تكف عن الالتفات حولها خوفا من ظهور الأعداء.

رن جرس المدرسة معلنا بدء الدروس ووضع حدا لخيالهما . تنهد وقال:

- إن الواجب يناديا يا عزيزتي .. ويجب أن نلبي النداء ؟

قبل أن يخرجا من الحجرة الخالية التي لجا إليها تاكد "كلارك" من أن الطريق خال أمامهما ثم أشار لها أن تتبعه . عندما خرجا من باب الحجرة وجدا نفسيهما وجها لوجه مع التوءمين "لاري" و"روي" اللذين صاحا في نفس واحد وكانهما ثنائي غنائي:

- لقد ضبطناكما وأيديكما مخضبة بالدماء!

قال "كلارك" مازحا:

- أنتما من عصابة الجواسيس!

تدخل "لاري" في الحديث:

- لابد من وجود شخص يكلف بمراقبتكما .. ولحسن الحظ نحن هنا .. أليس كذلك يا "روي"؟

فحص الأخ ابتسامة "كلارك" قبل أن يجيب:

- أعتقد أنني في يوم من الأيام ساقترح على زوجتي زيارة هذه

الحجرة واكتشاف سر السعادة التي تضفيها على من يزورها . أليس كذلك يا "لاري" ؟

- أوه .. بالتاكيد .

قاطعته "جايل" بجفاء:

- هذا لن يدهشني من شخص مثلك فطالما كانت تخطربباله أفكار غريبة.

قال "روي" وقد تجهم وجهه في حيرة:

- غريبة ؟ هل كنت غريبا داخل هذه الحجرة يا "كلارك" ؟

ثم رفع عينيه إلى السماء واطلق زفرة طويلة وقال :

- لقد حاولت يا "روي" حقا لقد حاولت ...

لم يستطع "كلارك" أن يزودهما بالتفاصيل .. حيثهم شابة صغيرة في ساحة اللعب ونادت "لاري" فقام هو وشقيقه بتحيتهما ثم انسحبا في انكسار معا ليلحقا بها . قالت "جايل" وهي ترى الشقيقين يبتعدان.

- إنني اتعجب لماذا انا بالذات - من بين كل خلق الله-كل معارفي من الأشخاص غير الطبيعيين ؟

خذ هذين المخلوقين مثلا لو لم يكونا متزوجين وسعيدين في زواجهما لحاما حول كل نساء البلدة.

قال "كلارك" معترفا وهو يضحك:

- إنني احبهما حقا .. على الأقل هما غريبا الأطوار .

- هذا أقل ما يوصفان به وانا كذلك احبهما جدا . والآن من الأفضل أن نعود إلى فصلينا إذا اردنا تجنب الثورة.

قال لها و هو يرسل قبلة في الهواء :

www.zahrawna.com

- إلى اللقاء في المساء يا فاتنتي ! وبعد نوم الطفلين قد نحصل على فترة ننفرد فيها بنفسينا.

لحق "كلارك" فريقه في الحال المجتمع في ملعب التمرين . واثناء لعب الأولاد وكان يفحص بكل دقة كل موقع وكل تمريرة وكل تغيير . كان يتدخل بلا انقطاع ليصدر نصائحه ويصحح الأخطاء . وعن بعد كان شاب اصفر نحيف يقوم بالجري حول الملعب، كان اسمه "تيم بركنز" وهو السلاح الذي ينوي "كلارك" استخدامه لهزيمة منافسيهم. عندما شاهد "كلارك" الأفلام التي صورت عن الفريق لاحظ أن المدرب السابق كان يفضل باستمرار استخدام الطريقة الفنية القديمة . لذلك قرر تغيير خطة الهجوم والإصرار في طريقته الجديدة على الجري . إن هذا التعديل لن يفاجئ المنافسين فحسب وإنما ايضا يعطي اللاعبين إحساسا بانه اكثر فاعلية . ومع الحماس المكتسب يكون للفريق فرصة الفوز، كان يلاحظ كل ولد فوق الملعب واحس بقلبه يفيض سعادة . إن أمامه براعم تنتظر منه إشارة حتى تتفتح.

لمح فجاة فتاة صغيرة جالسة على الأريكة الخشبية على حافة الملعب وقد عقدت شعرها على شكل ضفيرتين وعندما دقق النظر فيها اكتشف انها "بريني" . بعد ذلك أرسل الفريق إلى غرفة الملابس ثم جرى نحوها حياها وهو يجلس بجوارها:

- صباح الخير يا حلوتي ! ما رأيك في فتياني ؟

- فيهم واحد يرتدي الملابس الرمادية وهو ظريف جدا .

- آه فهمت .. اتعتقدين أن وجوده بيننا سيتيح لنا فرصة اكبر في الفوز؟

- أوه .. ولم لا ؟

وافقها وهو يمسك بكتفيها:

- حقا ولم لا ؟ هل حضرت لتصحبيني إلى البيت ؟

قالت له شارحة وهي تميل عليه :

- في الحقيقة لم اتحرك من هنا بعد انتهاء الحصص لقد أردت أن أشاهد التمرين بعض الوقت وأمي سمحت لي أن ابقى حتى نهاية اللعب في انتظارك .

ضغط "كلارك" على يد الفتاة واصيب بالهلع عندما اكتشف انها تحترق من الحرارة ثم نظر إلى وجهها المتجهم الحزين على عكس عادتها فسألها في قلق:

- ماذا بك يا "بريني"؟ هل انت بخير ؟ هل تشكين شيئا ؟

لم تجبه في الحال وخفضت عينيها موافقة في خجل . ثم قالت بصوت منخفض :

- إنني لا أحس بانني بخير على الإطلاق يا "كلارك" إنني أحس بالم شديد في بطني وبعض الألم في قلبي.

وضعت رأسها على كتفه :

- هل اكلت شيئا ما بشراهة؟

- أوه .. لقد تناولت أربع كعكات صغيرات وفطيرة بيتزا كاملة وحدي . وهذا الصباح كنت متوعكة ولكني لم أقل شيئا لأمي خوفا من أن تجبرني على تعاطي تلك الأدوية المرعبة.

ابتسم لها وهو يمد يده ليساعدها على النهوض:

- أرأيت أخيرا انه كان من الأفضل أن تتناوليها مبكرا .. تعالي. لنعد

للبيت.

تركا ملعب التدريب وسارا في بطء ناحية البيت فجاة اطلقت "بريني" صرخة وانثنى جسمها وتجهم وجهها من الالم .. رفعها "كلارك" في الحال بين ذراعيه وهرول حتى يصل إلى البيت باسرع ما يمكن اوشك أن يصاب بالجنون وحاول أن يهدأ .

كانت "جايل" خلف النافذة تنتظر عودة "كلارك" ككل يوم ومعه احد ابنيها. عندما رأتهما سارعت للقائهما وقد خرجت عن شعورها .

- ماذا جرى يا "كلارك" .. هل سقطت ؟ هل اصيبت؟

- إنها تقول ببساطة: إن لديها مغصا في بطنها ولكنها في نفس الوقت محمومة.

- سأتصل في الحال بالدكتور "هاردنج" يمكنك أن تضعها في السرير.

قال لها :

- انتظري قليلا حتى أعرف أين تحس بالألم.

مدد "كلارك" الطفلة على السرير وبدأ يطرق معدتها بحثا عن نقطة حساسة. وعندما دس إصبعه في اسفل بطنها صرخت من الالم الشديد. أعلن :

- هذا ما كنت أخشاه . إنه التهاب الزائدة الدودية . اتصلي بالدكتور "هاردنج" وأخبريه اننا سنصل في الحال.

بعد دقائق ركبوا السيارة واتجهوا نحو المستشفى عندما وصلوا استقبلهم الدكتور "هاردنج" أمام المدخل ووجههم نحو صالة الانتظار ثم أخذ الفتاة الصغيرة إلى حجرة الكشف لفحصها انتظر "كلارك" مع

"جايل" و"جيف" قرار الطبيب وسارت الدقائق ببطء شديد . لم يجرؤ أي منهم على النظر في عين الآخر اخذ "كلارك" يذرع قاعة الانتظار وهو ساهم في الفراغ .. لقد احس بخوف شديد على "بريني" وأحس فجاة بانه بلا فائدة .. وهو الذي تعود مجابهة الأحداث بصراحة وتصميم وها هو يجد نفسه وقد وقع في الفخ . لم يعد أمامه شيء يفعله سوى الانتظار والأمل أن يمر كل شيء على ما يرام.

كان متوترا وانطلق بحثا عن ماكينة مشروبات بالعملة ثم عاد ومعه قدحان من القهوة ناول "جايل" احدهما . ثم جلس بجوارها. قال يطمئنها :

- لا تقلقي وسترين أن كل شيء سيكون بخير .

خرج الدكتور "هاردنج" من حجرة الكشف وانضم إليهما . نهض الاثنان مرة واحدة ينتظران حكمه .

- انت على حق يا "كلارك" إنها الزائدة الدودية لقد انفجرت الزائدة واعتقد أنني ساجري لها عملية في الحال .

- هل هذا خطير!

- لا .. هذا مجرد تدخل جراحي وكل شيء سيكون على ما يرام ويمكنكم أن تروها إذا أردتم .

- شكرا يا دكتور !

حاول "كلارك" أن يهدئ من روعها :

- أؤكد لك انه ليس هناك ما يفزعك.

بدت "بريني" في سرير المستشفى اكثر شحوبا وضعفا . عندما دخلا نظرت إليهما والدموع في عينيها .

أوه يا أمي ! أنا خائفة.

مسحت أمها دموعها بيد مرتجفة وكانت تحس بغصة في حلقها وهي غير قادرة على أن تقول شيئا تسري به عن ابنتها . قرر "كلارك" التدخل ليخفف عن الطفلة:

- سابوح لك بسر يا "بريني".. إنني أكبر منك كثيراوقد اجريت لي عمليات كثيرة ومع ذلك ففي كل مرة كنت أموت رعبا.

- هل هذا صحيح؟

- أقسم لك أن هذا صحيح . ومن الطبيعي أن تحسي بالخوف يا "بريني" ولا ضرر في ذلك. ولكن اعلمي اننا جميعا سنظل بجوارك وسنعيدك للبيت عندما تشفين.

ابتسمت له الصغيرة في تردد وعندما ظهرت الممرضة على عتبة الباب فهموا أن وقت رحيلهم حان لأن البنت أصبحت في ايد أمينة.

من هذه اللحظة بدأ عذاب الانتظار . أخبرها أن من الأفضل أن يصحب "جيف" إلى بيت "هاريسون" مؤكدا انه لا يريد أن يتركها لحظة لولا مصلحة الصبي .

وفي أثناء الطريق إلى بيت "هاريسون" غرق "كلارك" في افكاره ونسي وجود الطفل بجواره وعندما انتبه أخيرا قال له مطمئنا:

- إنها ستشفى واعلم ذلك جيدا .

- نعم ..اتعشم هذا .

سكت "كلارك" ثم لمحه بطرف عينه فهم أن هناك ما يدور بذهنه ويزعجه . سأله :

- ماذا هناك يا "جيف" ؟ يمكنك أن تحدثني عنه ؟

فكر الصبي قليلا ثم انتصب في مكانه فجأة وقال :

- إن كل الناس في "برادل" يقولون: إنك ستتزوج أمي .. هل هذا صحيح؟

أطلق "كلارك" زفرة . لقد كان يعلم أن الإشاعات في يوم من الأيام ستصل للطفلين .سأله :

- وهل هذا يضايقك لو أن الأمر صحيح؟

- لا .. لا أعتقد ذلك . أولا عندما علمت بالخبر كنت سعيدا جدا بأن يكون لدي أب مثلك لاعب كرة شهير . ثم قلت لنفسي: إنك أب للجميع. إذن فكرت أن ...

- فكرت في أن الأب يجب أن يختلف عن ابنه وأن يكون أقرب إليه .. هل هذا هو السؤال يا "جيف"؟

- نعم.

لقد خطا الولد الخطوة الأولى وحانت اللحظة أمامه ليضع النقط على الحروف .صرح في رقة:

- عندما أتزوج أنا وأمك فإن الأمر سيكون مختلفا . إننا فعلا أصدقاء . أليس كذلك؟ وفي اليوم الذي سنعيش فيه معا سيصبح الأمر أفضل وفي عيون كل الناس ساظل لاعب الكرة الشهير. ولكن بالنسبة لك ساكون أكثر من ذلك . أليس كذلك؟

لاحظ "كلارك" أنه لايزال هناك ما يشغل باله وانتظر في صبر حتى يبوح الصبي له بذلك السر. أضاءت ابتسامة خجل وجه الصبي الذي قال:

- خبرني يا "كلارك". هل يجب أن أناديك "أبي" .

- وهل تريد ذلك ؟

- لست أدري .. على أية حال لو فعلت فليس معنى هذا انني نسيت أبي.

تاثر "كلارك" بعمق من حساسية الصبي ولم يعرف بماذا يجيب. لقد كان "جيف" على حق . وعندما اقتربا من بيت "هاريسون" قال له "كلارك":

- بالتاكيد لن تنساه وانا لا اريدك ان تنساه .

رفع الصبي إليه عينيه دهشة وفجاة دون اي تحذير القى بنفسه على عنق "كلارك" وقبله بعنف وعندما لمح "هاريسون" واقفا على عتبة الباب قفز من السيارة وجرى ليقابله.

فكر "كلارك" في طريق العودة في المحادثة وشعر بحنان شديد . لقد أحس أخيرا بالخلاص والسعادة عندما عرف العواطف الحقيقية للصبي نحوه . إنه يعرف الآن انه يرحب به وسط أسرته وربما أحبه فعلا .. من يدري ؟

عندما وصل إلى قاعة الانتظار سارع نحو "جايل" وانتظرا معا نتيجة الجراحة ، وبعد فترة عندما أعلنهم الدكتور "هاردنج" الخبر السعيد أوشكا أن ينهارا من السعادة . لقد سقطت العوائق واحدا تلو الأخر ولم يعد هناك مايمنع ارتباطهما المقدس . قررا العودة للبيت لحين السماح لهما برؤية "بريني".

وظل كل منهما تائها في أفكاره . أمام المدخل استدارت فجاة نحو "كلارك" ثم انفجرت ضاحكة .

سألها وهو في دهشة وظن انها أصيبت بالجنون .

- ولكن ما الشيء الذي يضحك؟

- اتدرين ما الذي قاله لي "جيف" ونحن في صالة الانتظار؟

- حسنا .. ماذا؟

- لقد كنت في منتهى الخوف على "بريني" وفي تلك اللحظة قال لي بصوت جاد عندما تكبرين ستفهمين أن هناك بعض الأسئلة لا رد لها . هل تتصور هذا ؟ لم أصدق اذني . هذه ليست طبيعته على ما أفهم.

ابتسم "كلارك" وهو يتذكر حادثة المزرعة:

- إذن .. لابد أنه كبر .

- نعم ... ربما .

ثم قص عليها "كلارك" بدوره محادثته مع الصبي:

- يبدو أن الأمر انتهى بالطفلين إلى أن تبنياني .

صاحت وهي لا تصدق:

- تبنياك؟ إنهما يعشقانك يا "كلارك" لدرجة انهما لن يستغنيا عنك وانا كذلك لن أسمح لك بالرحيل .

أخذ "كلارك" يتامل "جايل" طويلا حتى يحفر تلك اللحظات السعيدة في ذاكرته للأبد . همس بصوت أجش:

- اوه يا "جايل" لقد اعتقدت انك لن تنطقي بهذه الكلمات أبدا..لقد انتظرتها من زمن بعيد .

- انا احبك يا "كلارك" .. أحبك أكثر من العالم كله.

أحس بقلبه يفيض سعادة وأخذ يهمس :

- كم هو رائع أن أسمعك تقولينها !

نظر "كلارك" في لوحة النتائج ولم يبق سوى دقائق ولايزال الفريقان

متعادلين . إن الفائز في هذه المباراة سيدخل الدوري القومي .. يجب أن يكون الفريق الفائز هو "برادل بلدوج" . لقد أتت البلدة كلها لترى الفريق وتشجعه منهم "لاري" و"روي" والفيلسوف" أد" و"هاريسون" وزوجته "جودي" و"جايل" وابناها . لقد انتظروا شهورا طويلة في صبر هذا اليوم العظيم وهم لا يستحقون أن يصابوا بالإخفاق.

كان "كلارك" يقطع المكان ذهابا وإيابا واعصابه على أشدها وهو يراقب كل الحركات للفريقين . ثم فجاة حدث ما تمناه . أفلتت الكرة من أحد لاعبي الفريق المنافس واستغل اللاعب "بركنز" الفرصة في الحال واندفع يجري وهو يتجنب كل من يتصدى له إلى أن وصل إلى طريق النصر.

أصيب الجمهور بالجنون والهوس ونهض الجميع دفعة واحدة وهم يصفقون ويهتفون ويصرخون ويبكون من الفرحة بكل ما لديهم من قوة.

نظر "كلارك" حوله - والدموع تبلل عينيه - إلى الوجوه المشرقة لأصحابه وعندما رأى ثلاثة أشباح تجري نحوه وهي تشرق سعادة فرد لهم ذراعيه ثم أغلقهما على الثلاثة وهو يهمس:

- إنني أحبكم جميعا .

تمت